



AL BOUNYANE
لنشر الدعوة في العالم

تقدم

مجموعة أقوال الشيخ ربيع على سيد قطب

www.rabee.net

<http://www.albounyane.com>

كلمة حق وإنصاف قالها الشيخ الألباني في انتقاد

الشيخ مريع بن هادي المدخلي لعقائد سيد قطب ومنهجه .

قال المحذث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - وفقه الله - معلقاً على خاتمة كتاب (العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم) :
" كل ما رددته على سيد قطب حق وصواب ، ومنه يتبين لكل قارئ مسلم على شيء من الثقافة الإسلامية أن سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه .

فجزاك الله خير الجزاء أيها الأخ (الربيع) على قيامك بواجب البيان والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام . "

كل ما رددته على سيد قطب هو وصواب ، ومنه
يتبين لكل قارئ مسلم على شيء من الثقافة الإسلامية
أن سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه .
فجزاك الله خير الجزاء أيها الأخ (الربيع) على قيامك بواجب البيان
والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام .

من أصول سيد قطب الباطلة المخالفة لأصول السلف الصالح

كتبه

الشيخ ربيع بن هادي المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .
أما بعد :

فقد بينا فيما سلف في كتاب "نظرات في التصوير الفني" أن سيد قطب في هذا الكتاب قد اعتمد على أصول منها :

1- الأصل الجهمي الخطير الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : إنه ينبوع البدع وهو الاستدلال بحدوث الأعراض على حدوث الأجسام وبحدوث الأجسام على حدوث العالم وبحدوث العالم على وجود الله .

فجرهم هذا إلى تعطيل صفات الله لأن الصفات في نظرهم أعراض والأعراض لا تقوم إلا بجسم والله يتنزه عن ذلك . فعطل الجهمية الأساسية أسماء الله وصفاته ، وتأثر بهذا الأصل المعتزلة فعطلوا به صفات الله . وتأثر به الأشاعرة فعطلوا كثيرا من صفات الله ، ومنها العلو على الكون والاستواء على العرش والوجه واليدين والرضى والغضب والحكمة فلم يثبتوا من صفات الله إلا الصفات السبع التي أثبتوها ومنها العلم والإرادة الخ

2- ومن الأصول التي بنى عليها سيد قطب ضلاله في كتابه التصوير الفني إيمانه بوجود التصوير الفني في نصوص القرآن بل جل نصوص القرآن .

3- ومنها : إيمانه بأن الدين والفن صنوان .

4- ومنها : غلوه في حرية الفكر والقول ، وتجرده من العقيدة حينما كتب التصوير الفني ومشاهد القيامة في القرآن وافتخاره بذلك واعتباره العقيدة غلا يغل التفكير .

5- ومنها : الأصل الصوفي الخطير " اللهم إني أعبدك لا خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك " هذا الأصل الذي وصفه بعض أهل السنة والجماعة بأنه زندقة .

6- واليوم ننبه القراء إلى أصل خطير هو من أهم أسس التكفير في الماضي والحاضر ألا وهو ما قرره سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن (1474/3-1475) في تفسير قول الله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)

قال : ((إن التعبير القرآني دقيق في بنائه اللفظي ليدل دلالة دقيقة على مدلوله المعنوي . وفي العبارة هنا قصر بلفظ " إنما " . وليس هنالك مبرر لتأويله — وفيه هذا الجزم الدقيق — ليقال : إن المقصود هو " الإيمان الكامل " .

فلو شاء الله — سبحانه — أن يقول هذا لقاله . إنما هو تعبير محدد دقيق الدلالة . إن هؤلاء الذين هذه صفاتهم وأعمالهم ومشاعرهم هم المؤمنون . فغيرهم ممن ليس له هذه الصفات بحملتها ليسوا بالمؤمنين . والتوكيد في آخر الآيات : " أولئك هم المؤمنون حقاً " يقرر هذه الحقيقة . فغير المؤمنين " حقاً " لا يكونون مؤمنين أصلاً . والتعبيرات القرآنية يفسر بعضها بعضاً . والله يقول : (فماذا بعد الحق إلا الضلال) .

فما لم يكن حقاً فهو الضلال . وليس المقابل لوصف : " المؤمنون حقاً " هو المؤمنون إيماناً غير كامل ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبير .

لذلك كان السلف يعرفون من هذه الآيات أن من لم يجد في نفسه وعمله هذه الصفات لم يجد الإيمان ولم يكن مؤمناً أصلاً .. جاء في تفسير ابن كثير : : قال علي بن طلحة عن ابن

عباس ، في قوله : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون ، ولا يصلون إذا غابوا (عن أعين الناس) ولا يؤدون زكاة أموالهم . فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين . ثم وصف الله المؤمنين فقال : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فآدوا فرائضه . (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) يقول : زادتهم تصديقاً ، "وعلى ربهم يتوكلون " يقول : لا يرجون غيره . وسرى من طبيعة هذه الصفات أنه لا يمكن أن يقوم بدونها الإيمان أصلاً ، وأن الأمر فيها ليس أمر كمال الإيمان أو نقصه ، إنما هو أمر وجود الإيمان أو عدمه (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) .

إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكر بالله في أمر أو نهي فيغشاه جلاله ، وتنتفض فيه مخافته ، ويتمثل عظمة الله ومهابته ، إلى جانب تقصيره هو وذنبه ، فينبعث إلى العمل والطاعة ... أو هي كما قالت أم الدرداء - رضي الله عنها - فيما رواه الثوري ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء قالت : "الوجل في القلب كاحتراق السعفة ، أما تجد له قشعريرة ؟ قال : بلى . قالت : إذا وجدت ذلك فادعوا الله عند ذلك . فإن الدعاء يذهب ذلك .

إنها حال ينال القلب منها أمر يحتاج إلى الدعاء ليستريح منها ويقر وهي الحال التي يجدها القلب المؤمن حين يذكر بالله في صدد أمر أو نهي ، فيأتمر معها وينتهي كما يريد الله ، وجللاً وتقوى لله .

(وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً]

والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً ، وما ينتهي به إلى الاطمئنان ¹ (1) إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة ، ولا يحول بينه وبينه شيء إلا الكفر

1 (وكذلك الطاعات بأنواعها يزيد بها الإيمان

الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه ، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن ، ووجد إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيماناً ، فإن القلب المؤمن هو الذي يدرك هذه الإيقاعات ² (2) التي تزيده إيماناً .. لذلك يتكرر في القرآن تقرير هذه الحقيقة في أمثال قوله تعالى : " إن في ذلك لآيات للمؤمنين " " إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون " .. ومن ذلك قول أحد الصحابة - رضوان الله عليهم - : كنا نؤتي الإيمان قبل أن نؤتي القرآن ...) ١.هـ -

أقول : عجيب أمر هذا الرجل إنه لا يختلف أهل السنة والجماعة وطائفة من طوائف الضلال في أصل من الأصول إلا وينحاز هذا الرجل إلى الطائفة المخالفة لأهل السنة ، فهذا هو في تفسير هذه الآية يتعمد مخالفة أهل السنة والجماعة في أصل عظيم من أصول الإيمان يتميزون به عن سائر فرق الضلال .

ذلك الأصل السني هو أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية " فيقرر سيد هنا عن عمد وعلم خلاف معتقد أهل السنة وأصلهم انحيازاً منه كعادته إلى أهل الأهواء من الخوارج والمعتزلة وغيرهم فيقول :

أولاً : أ- إن التعبير القرآني دقيق في بنائه اللفظي ليدل دلالة دقيقة على مدلوله المعنوي .

ب- " وفي العبارة هنا قصر بلفظ "إنما" .

ج- " وليس هناك مبرر لتأويله وفيه هذا الجزم الدقيق ليقال : إن المقصود هو الإيمان الكامل "

(2) لا يجوز تشبيه تأثير القرآن بإيقاعات الموسيقى .

أقول : يعني ليس هناك مؤمن كامل الإيمان ومؤمن ناقص الإيمان بل إما مؤمن أو كافر كما سيأتي .

ليس هناك مؤمن كامل الإيمان حتى يكون إيمانه كالجبال لكمال إيمانه وأعماله الصالحة ومؤمن ناقص الإيمان بذنوبه ومعاصيه حتى إن إيمانهم لينقص إلى مثاقيل الذر . كما تواترت بذلك الأحاديث النبوية في الشفاعة في أهل الذنوب بل هناك نصوص قرآنية تدحض باطل هذا الرجل وأشياعه من الخوارج والمعتزلة وغيرهم .

منها قول الله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد . ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) [سورة فاطر : 32] .
ألا ترى كيف قسم المصطفين إلى ثلاثة أقسام ومنهم الظالم لنفسه الناقص الإيمان .
ثانياً : - قال مؤكداً كلامه السابق :

"فلو شاء الله - سبحانه أن يقول هذا - لقاله .

إنما هو تعبير محدد دقيق الدلالة : إن هؤلاء الذين هذه صفاتهم وأعمالهم ومشاعرهم هم المؤمنون ، فغيرهم ممن ليس له هذه الصفات بحملتها ليسوا بالمؤمنين .
والتوكيد في آخر الآيات (أولئك هم المؤمنون حقا) يقرر هذه الحقيقة فغير المؤمنين حقا لا يكونون مؤمنين أصلا . والتعبيرات القرآنية يفسر بعضها بعضا والله يقول : فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فما لم يكن حقا فهو الضلال وليس المقابل لوصف المؤمنون حقا هو المؤمنون إيمانا غير كامل ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبير "أهـ -

أي أن القول الحق هو ما يقرره الخوارج من أن الإيمان لا يقبل النقص بحال وأن قول أهل السنة والجماعة المستفاد من نصوص القرآن والسنة والمبني على رد المتشابهات إلى المحكمات تأويل باطل مميح .

وهذا منهج متبع لدى سيد قطب في العقائد التي يختلف فيها أهل السنة والجماعة وأهل

الضلال من الجهمية والمعتزلة والخوارج أن ينحاز إلى أهل الضلال فيقرر باطلهم ، بأقوى ما يستطيعه من التهاويل ثم يحط من شأن أهل السنة ويطعنهم بأسلوب ينطوي على المكر والدهاء والتمويه، فهو هنا يذم التأويل كما ترى ويراه تميعاً وهو من أشد الغلاة في تأويل صفات الله ومن أشد الناس إغراقاً في البدع الكبرى وولوعاً بها . كتعطيل صفة استواء الله على عرشه وعلوه، وإنكاره لرؤية الله، وقوله بخلق القرآن، وأزلية الروح، إلى آخر ضلالاته القائمة على التأويل أي التحريف الجريء .

ثالثاً :- قال عقب كلامه السابق :

" لذلك كان السلف يعرفون من هذه الآيات أن من لم يجد في نفسه وعمله هذه الصفات لم يجد الإيمان ولم يكن مؤمناً أصلاً .

جاء في تفسير ابن كثير قال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا (عن أعين الناس) ولا يؤدون زكاة أموالهم .

فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف الله المؤمنين فقال (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) يقول : زادتهم تصديقاً (وعلى ربهم يتوكلون) يقول : لا يرجون غيره .

وسرى من طبيعة هذه الصفات أنه لا يمكن أن يقوم بدونها الإيمان أصلاً وأن الأمر فيها ليس أمر كمال الإيمان أو نقصه ، إنما هو أمر وجود الإيمان أو عدمه " .

1- انظر قوله : " لذلك كان السلف يعرفون من هذه الآيات أن من لم يجد في نفسه وعمله هذه الصفات لم يجد الإيمان ولم يكن مؤمناً أصلاً " .

أقول: كيف ينسب مذهب الخوارج إلى السلف لأن ابن كثير نقل عن واحد من السلف

المحاربين لمذهب الخوارج ألا وهو ابن عباس حبر القرآن ومبطل مذهب الخوارج التكفيري .
أولاً :- في مناظرته المشهورة للخوارج والتي عاد بسببها إلى مذهب أهل السنة آنذاك -
وهم الصحابة- ألوف من الخوارج " .

ثانياً :- تفسيره المشهور المتداول بين أهل السنة والجماعة من عهده - رضي الله عنه - إلى
يومنا هذا لقوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) الذي نقله عنه
الإمام ابن جرير بإسناده حدثنا هناد ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي ، عن
سفيان عن معمر بن راشد عن ابن طاووس عن ابن عباس (ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون) قال : هي به كفر وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ثم رواه
من طريق الحسن بن يحيى (ويعني به ابن الجعد الجرجاني وهو صدوق) عن عبد الرزاق عن
معمر عن ابن طاووس عن ابن عباس قال : هي به كفر قال ابن طاووس : وليس كمن
كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله " تفسير ابن جرير (256/6) وقال ابن جرير قبله (ص
255) وقال آخرون :عنى بذلك كفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم " ونقل
قول ابن عباس وطاووس وابنه .

وقال ابن كثير : " وقال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله : (ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون) من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقرّ به ولم يحكم فهو ظالم
فاسق " رواه ابن جرير تفسير ابن كثير (111/3) وقد نقل كل من ابن جرير وابن كثير
أقوالاً أخرَ عن المفسرين ليس هذا مجال سردها لأن قصدي بيان أن ابن عباس لا يرى رأي
سيد قطب: أنه ليس هناك إيمان كامل وإيمان ناقص ولا كفر دون كفر وأنه لا ابن عباس
ولا السلف معه على هذا الأصل الباطل .

ثم إنه لا يلزم مما نقله عنه ابن كثير من طريق علي بن طلحة في المنافقين والمؤمنين ، أنه يرى
أن الناس قسمان فقط مؤمن ومنافق فقط . بل هو وأهل السنة وعلى رأسهم الصحابة
الكرام يرون أن الناس ينقسمون إلى كفار ومنافقين ومؤمنين كاملي الإيمان ومؤمنين ناقصي

الإيمان وهم العصاة ومن هنا كانوا يقيمون الحدود على العصاة مرتكبي الكبائر ولا يكفرونهم ولا يخرجون أحداً منهم من دائرة الإسلام بذنب أو ذنوب مستندين على نصوص الكتاب والسنة المحكمة ، فكيف يستجيز سيد قطب نسبة هذا المذهب الحروري إلى السلف.

وكيف يتغافل سيد قطب عن ما نقله ابن كثير في تفسير هذه الآية بقوله : " قال عمرو بن مرة في قوله : (أولئك هم المؤمنون حقا) " إنما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك فلان سيد حقا وفي القوم سادة ، وفلان تاجر حقا وفي القوم تجار ، وفلان شاعر حقا وفي القوم شعراء " .

أي أن القصر في الآية إضافي وليس بحقيقي أي أن قول الله تعالى (أولئك هم المؤمنون حقا) لا ينفي الإيمان عمن قصر عن هذه المرتبة كما لا ينفي عن العرب بقولهم فلان سيد حقا إلى آخره السيادة والتجارة والشعر عن سواهم وهذا بخلاف فهم سيد قطب والخوارج من هذه الآية .

لقد كرر سيد قطب نفي أصل الإيمان عمن لم تتوفر فيهم هذه الصفات واستنكر قول أهل السنة أن هناك مؤمنا كامل الإيمان ومؤمنا ناقص الإيمان وقال : ((ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبي)).

فهل في مذهب أهل السنة الحق القائم على الكتاب والسنة ومنهج السلف تمييع ؟
ثم هل سيد قطب ينكر أحاديث الشفاعة المتواترة في أهل الذنوب الذين يخرجون من النار بالشفاعة وبمحض رحمة الله ، فيخرج منهم من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ويخرج منها من في قلبه مثقال درهم ويخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ومن في قلبه أدنى من مثقال ذرة من إيمان .

فهل هو مع أهل السنة في هذا الباب أو هو مع الخوارج ؟
الظاهر أنه مع الخوارج في هذا الموطن وغيره بل قد يفوقهم كما يفوق الجهمية في التأويل

والتعطيل لصفات الله وفي عقائد سنية أخرى.

رابعاً : قال : " (والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً وما ينتهي به إلى الاطمئنان .

إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا واسطة ولا يحول بينه وبينه إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه ، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد حلاوة القرآن ، ووجد في إيقاعاته³ المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ إلى الاطمئنان .

ثم علق هنا في حاشية (ص 1475) بقوله : وهنا تعرض قضية : " الإيمان يزيد وينقص ، وهي قضية من قضايا الفرق وقضايا علم الكلام في فترة الترف العقلي والفراغ من الاهتمامات العلمية الجادة ، فلا ندخل الآن نحن فيها " :
وعليه في هذا المقطع مآخذ :

1- هو يقول بأن القلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً فهل هو يؤمن بأن الإيمان يزيد ؟ وإذا كان هذا هو واقعه فبماذا يزيد هل هو يزيد بتلاوة القرآن فقط أو هو يزيد بالطاعات كلها من ذكر الله وصلاة وصيام وصدقة وبر وإحسان إلى غير ذلك من الطاعات وتفقه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن اقتصره على آيات القرآن يثير الريبة في موقفه .

2- بعد تقريره لمذهب الخوارج وبعد هذه الفقرة المحيرة التي أسلفناها يقول : وهنا تعرض قضية الإيمان يزيد وينقص وهي قضية من قضايا الفرق وقضايا علم الكلام في فترة الترف العقلي... الخ .

(3) أي الإيقاعات الموسيقية

يأتي بهذا الكلام المموه الذي يشعر القارئ الساذج أنه يحارب علم الكلام والجدل ولو كان صادقا في حرب علم الكلام . فلماذا لا نجده دائما إلا من حزب أهل الكلام بل من غلاة هذا الحزب من معتزلة وجهمية وخوارج وفلاسفة الصوفية وغيرهم في تعطيل صفات الله والقول بخلق القرآن والقول بأزلية الروح وتكوينه أو إنكاره لمعجزات الرسول وإنكاره للميزان وطعنه في بعض الرسل، وطعنه في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا نجده إلا في الضفة المحاربة لأهل السنة والجماعة ، فهل يصدق بعد كل هذا في ذمه للكلام وأهله وقد أخذ بأخطر وأشد نتائجه ، ومنه ما قرره هنا في قضية زيادة الإيمان ونقصانه وتكفيره لمن لم يتمتع بجملة الصفات التي فسرهما هنا ، ثم توج بحثه بهذا التمويه الذي سار عليه في كثير من مواقفه التي ينحاز فيها إلى أصول الضلال ويقررها ، ثم يعقب بمثل هذا التمويه الخادع ووالله لو كان صادقا في حربه لعلم الكلام وأهله لما اختار إلا منهج أهل الحق ودعم أصولهم وهدم أصول أهل الباطل ، ولكنه مكر أهل الضلال والزيغ ولا ينطلي هذا المكر إلا على من هان عليه الحق الذي أهانه سيد وأهان أهله كثيراً وكثيراً وكرم الباطل وأصوله وزخرفه وشاده .

3- إن من أهداف سيد قطب - بعد انخيازه إلى أهل الضلال في أصولهم وتطبيقاتهم - إسكات أهل الحق بل إرهابهم . كما هو عادته التي عرفناها بالدراسة والاستقراء فانظر إليه هنا كيف يشدد ويؤكد مذهب الخوارج في التكفير ثم يسلق أهل السنة ومنهجهم بقوله : " ولا يجوز أن يصبح التعبير القرآني الدقيق عرضة لمثل هذه التأويلات المميعة لكل تصور ولكل تعبير " فمضى حارب هذا الرجل التأويل ووصفه بالتمميع وكيف يفعل ذلك وهو من أشد حملة لواء التأويلات الباطلة الغليظة .

وانظر إليه هنا مرة أخرى كيف يؤكد باطله بإرهاب أهل الحق والسنة فيقول : " هنا تعرض قضية الإيمان يزيد وينقص وهي قضية من قضايا الفرق ، وقضايا علم الكلام في فترة الترف العقلي ، والفراغ من الاهتمامات العلمية الجادة ، فلا ندخل نحن فيها .

فماذا يريد هذا الرجل بهذا الكلام ؟ الذي يتظاهر فيه بالتنزه عن مذاهب الفرق وعن الكلام هل يريد أن ينضم إلى أهل السنة والجماعة في ذم الفرق الضالة ودم مناهجهم الفاسدة وأصولهم الباطلة ومنها علم الكلام .

الجواب : لا وألف لا والأدلة كثيرة على ما أقول بل أنه والله لقد زاد أصولاً فاسدة تشيد مذاهب أهل الباطل كما بينت ذلك في كتابي " نظرات في كتاب التصوير الفني لسيد قطب " .

وإذن فالأمر أمر تمويه، الهدف منه أن تؤخذ عقائده الفاسدة ومقرراته الباطلة بالتسليم الخانع الذي لا يطلب أصحابه دليلاً ولا برهاناً لأن البحث عن الأدلة والبراهين لرد الباطل يكون في نظر سيد قطب من قضايا الفرق وعلم الكلام ،ومن الترف العقلي الفارغ من الاهتمامات العلمية الجادة ،فمن أراد الاهتمامات العلمية الجادة فعليه أن يحذو حذو سيد قطب في مقرراته الجادة التي زحرت بها كتبه من تعطيل صفات الله والقول بالحللول ووحدانية الوجود ،ووحدة الفاعلية ،والقول بخلق القرآن ، وإنكار رؤية الله في الدار الآخرة ، وإنكار المعجزات المحمدية إلا القرآن ، والقرآن نفسه في نصوصه عبارة عن مسرحيات وتمثيلات ممزوجة بالتصوير الفني ،وصخب الموسيقى ، لأن الدين والفن صنوان عنده ،وتكفير الأمة بالجهل والظلم .

فهذه هي الاهتمامات العلمية التي يجب أن يهتم بها شباب الأمة وما خالف ذلك فهو من الترف العقلي والفراغ من الاهتمامات الحادة ولو كان ذباً عن القرآن والسنة وذباً عن مقام النبوة وذباً عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

4- وأخيراً نقول إن أهل السنة والجماعة وأئمتهم ،هم الذين حاربوا علم الكلام وأهله بصدق ،وألفوا في ذمه المؤلفات وحاربوا التأويلات المميعة التي يدين بها سيد قطب وأسلافه من الجهمية والخوارج والروافض .

وهذه أمور معلومة مشهورة وليست من الترف العقلي ولا من الفراغ من الاهتمامات

الجادة ، وإنما هي اهتمامات جادة وجهاد عظيم للحفاظ على دين الله الحق ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر .

الأمور التي ميز الله بها هذه الأمة .

ومن هؤلاء المجاهدين بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان مالك والشافعي والأوزاعي والسفيانان والحمادان ، والإمام أحمد بن حنبل ، ومدرسته ومنها البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومن سار على نهجهم كالدارقطني وعبد الغني المقدسي ، وابن تيمية وتلاميذه وابن عبد الوهاب وتلاميذه إلى يومنا هذا .

ومن مؤلفاتهم في حرب البدع ومنها علم الكلام :

خلق أفعال العباد للبخاري ، والسنة لعبد الله بن أحمد والسنة لابن أبي عاصم ، والسنة للخلال ، والشريعة للآجري ، والإبانتان لابن بطة ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي ، ودم الكلام للهروي ، والحجة للأصفهاني . ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية الكثيرة الغزيرة ، ومؤلفات تلاميذه ابن القيم وابن عبد الهادي وغيرهما . وغير ذلك من المؤلفات العظيمة التي يعلو بها الحق ويدحض به الباطل الذي سار عليه أسلاف سيد قطب ومنه علم الكلام الذي يتظاهر سيد قطب بكرهته ويتلعب لبه الخبيث المهلك . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون .

إننا نطالب أنصار سيد قطب بتقوى الله ومراقبته في دين الله وفي شباب الأمة فيحذروا الشباب من كتبه المليئة بالأخطار والمخاطر وأن يسلكوا سبيل السلف الصالح في مواقفهم من أهل البدع بكل صراحة وشجاعة وأن يتعدوا عن التمولي وشهادات الزور لهذا الرجل بأنه مجدد و و و .

والابتعاد عن الغلو فيه وإنزاله فوق منزلته التي يستحقها ، مما سبب الفتن وضياع الشباب وإستهانهم بالحق ، وعدم الغيرة على أهله وأئمتهم الذين داس كرامتهم سيد قطب وظلمهم

وافترى عليهم ،وعلى رأسهم موسى وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .
ألا إنه يجب أن يدرك أنصار سيد قطب - إن كان بقي لديهم شيء من احترام أهل السنة
ومنهجهم وعقيدتهم أن المعركة حول سيد قطب وعقيدته ومنهجه لا تختلف عن المعارك
التي قامت بين أهل السنة وبين خصومهم من جهمية ومعتزلة وخوارج وصوفية بل هي
أشبه ما تكون بالمعركة حول الحلاج وابن عربي وأمثالهم .
وإن منهج السفسطات والكبر والمكابرات الذي ارتكبه الذابون عن ابن عربي وحزبه هو
نفس المنهج الذي يسلكه الذابون عن سيد قطب وكلهم لهم نصيب من قول الله تعالى :
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل
الله) .
فوالله ما عندهم من الحجج والبراهين شيء إلا المكابرات والمغالطات والسفسطات ، ألا
فليتقوا الله في أنفسهم وفي الإسلام وفي شباب الأمة المخدوعين .
اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشديعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك إنك سميع
الدعاء . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

سيد قطب

هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية

كتبه

الشيخ ربيع بن هادي المدخلي

سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .
أما بعد - فإن الأمة الإسلامية تعيش في دوامة من البلايا والكوارث والهوان والذل بسبب بعد أغليبتها عن تعاليم الإسلام التي بعث بها خاتم الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلوات والتسليم ، هذا البعد يشمل العقائد والعبادات والأخلاق والسياسة والاقتصاد ومن أدوائهم المهلكة الإصرار على الباطل والتمادي فيه وفقدان الاستعداد من معظمهم للرجوع إلى الله وإلى الرسول في قضايا الخلاف العقائدية والمنهجية والسياسية... الخ على مستوى المؤسسات العلمية والأفراد والمجتمعات .

وعلى مستوى الحركات والأحزاب التي تدعي الإصلاح .
ومن أشدها نكاية على الإسلام والمسلمين هذه الحركات السياسية التي تدعي أنها تحمل هموم الأمة وأنها تسعى لإنقاذها من الهوان والذل ولكنها مع الأسف لم تأت البيوت من أبوابها لم تسلك طرق الإصلاح التي شرعها الله لأنبياؤه ورسله من عهد نبي الله نوح إلى خاتم الرسل محمد ﷺ ألا وهي دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته وحده وإخلاص الدين والولاء لله ، لم يقوموا بهذا بل تراهم خصماء ألداء لمن يدعوا الناس إلى هذا المنهج العظيم الذي اختاره الله للإصلاح في كل الرسالات وعلى امتداد التاريخ الإسلامي .
ومن بين هذه المناهج البعيدة عن منهج الأنبياء في الإصلاح العقائدي والعبادي والسياسي منهج سيد قطب الذي ما زاد الناس إلا بلاءً بل ودماراً .
فهذا المنهج يزعم أنه يدعو إلى حاكمية الله .

وهو يحمل في طياته الرفض لحاكمية الله في العقائد والعبادات وفي طريقة الفهم للنصوص القرآنية والنبوية ويحمل في طياته رفض الرجوع إلى الله ورسوله في قضايا الخلاف .
ويهون من قضايا الشرك في العبادة وقضايا الانحراف في العقائد بكل أنواعه وقد قامت دعايات قوية وقام إعلام قوي لهذا المنهج استولى على عقول كثير من الشباب ولا سيما الطبقات المثقفة فربطهم ربطاً محكماً بسيد قطب وكتبه التي تحمل في طياتها البلايا والمنايا

والدمار العقدي والمنهجي والسياسي ويحمل في طياته التكفير والتدمير والتفجير والأحقاد المهلكة والاستعلاء على الأمة واستحقارها واحتقار علمائها .

فعلى كل من شارك في هذه الدعاية وفي هذا الإعلام والترويج أن يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً وأن يعلنوا هذه التوبة وأن يعلنوا أحكامهم الإسلامية العادلة دون مراوغة على ما يأتي من القضايا :

- 1- طعن سيد قطب في نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ، في كتابه "التصوير الفني " .
- 2- طعنه الشنيع والكثير في الخليفة الراشد عثمان وإسقاطه لخلافته وزعمه أنه تحطمت روح الإسلام في عهده وتحطمت أسس الإسلام في عهده وغير هذه الطعون وطعنه في مجتمع عثمان ومنها رمي معاوية وعمرو بن العاص بالكذب والنفاق وشراء الذمم .
- 3- تكفيره للمجتمعات الإسلامية .
- 4- قوله بالحلول ووحددة الوجود في شعره ونثره ودفاعه عن النيرفانا ومدحه لها ولأهلها كفار الهنود .
- 5- تعطيله لصفات الله عز وجل في الظلال وفي التصوير الفني بناء على الأصول الجهمية وقاعدة التخييل والتجسيم التي اخترعها هو .
- 6- قوله بأزلية الروح .
- 7- محاولته إنكار معجزات الرسول الكريم وادعائه أن معجزته الوحيدة هي القرآن الذي يقول بأنه من صنع الله أي أنه مخلوق .
- 8- قوله بالاشتراكية وتحريف النصوص القرآنية والنبوية من أجلها إلى قضايا أخرى والتي تضمنتها كتبه .
- 9- قوله بأن نصوص القرآن كلها أو جلها ميدان للفن من أنواع الموسيقى وأنواع المسرحيات والتمثيلات والسينمائيات ، وأن الدين والفن صنوان .
- 10- وعليهم أن ينادوا بالتحذير من كتبه التي تضمنت هذه الضلالات وصارت هي وما اشتق منها مؤلفات تكفيرية مصادر ومنابع خطيرة للتكفير والتفجير والإرهاب الأمور التي شوهت الإسلام ودفعت أعداءه في كل مكان إلى الطعن فيه وفي أهله في شتى وسائل الإعلام ورميهم للإسلام بأنه دين وحشية وهمجية وإرهاب ورمي أهله بهذه الصفات .

ولقد أدركت وغيري منذ زمن خطورة منهج سيد قطب فأصدرت بحمد الله عدداً من الكتب بينت فيها فساد عقيدته ومنهجه وفكره وخطورتها على الإسلام والمسلمين منها :

- 1- أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره .
 - 2- مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ .
 - 3- العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم .
 - 4- الحد الفاصل بين الحق والباطل .
 - 5- نظرات في كتاب التصوير الفني في القرآن .
 - 6- مقال طويل في بيان أطوار سيد قطب في وحدة الوجود بينت فيه هذه الأطوار من كتبه نشرًا ونظمًا .
 - 7- ينبوع الفتن والأحداث الذي ينبغي للأمة معرفته وردمه ، أصدرته بمناسبة كارثة التفجيرات التي ذهب في تحليلها والتحدث عن أسبابها يميناً وشمالاً بعضهم عن جهل وبعضهم عن مكر وتلبيس .
- فبينت أن منبعها بحق هو كتب سيد قطب التي شحنها بالكفر وتوجهها بما في كتابه " لماذا أعدموني " من التربية على الاغتيالات وصنع المتفجرات والتخطيط لنسف المؤسسات والمنشآت .
- واليوم وبعد توالي التفجيرات وسوء التصرفات أقدم للقراء فصلاً من كتابي أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره كنت قد سقت فيه عدداً من أقوال سيد قطب الصريحة في تكفيره للمجتمعات الإسلامية قامت هذه الأقوال على تحريف معنى لا إله إلا الله وعلى تحريف كثير من الآيات القرآنية .
- أسأل الله أن ينفع به المسلمين فهاكم هذا الفصل.

سيد قطب وتكفير المجتمعات الإسلامية

يقول في كتابه "معالم في الطريق":

"وأخيراً؛ يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة!".

وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار؛ لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولا أنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضاً⁽¹⁾، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها؛ فهي - وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله - تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكمية غير الله، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها، وشرائعها، وقيمها، وموازينها، وعاداتها، وتقاليدها... وكل مقومات حياتها تقريباً!

والله سبحانه يقول عن الحاكمين:

[وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ]⁽²⁾.

ويقول عن المحكومين:

[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

(1) بل كثير وكثير من هذه المجتمعات يُضيفون على أناس صفات الإله؛ كاعتقادهم أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، ويفرجون الكروب، ويتقدمون لهم بالشعائر التعبدية من الاستغاثة في الشدائد والدعاء والخوف والرجاء والتوكل والطواف بقبورهم وتعظيم هذه القبور وإقامة الأعياد والاحتفالات والموائد لهذه الأضرحة وشد الرجال إليها وتقديم الذبائح والنذور بالأموال الطائلة لها، كل هذه الأمور وغيرها من أنواع الشرك لا يعدها سيد من أنواع الشرك الناقضة للتوحيد المنافية لمعنى لا إله إلا الله، ونحن والحمد لله مع أننا نرى هذا من أنواع الشرك الأكبر، لا نفكر إلا من قامت عليه الحجة، وسيد لا يرى هذا من الشرك، ولا يستنكره؛ كحال كثير من الصوفية والروافض، لا يرون الشرك إلا في عبادة الأوثان، فإذا كفر سيد الناس؛ فإنما يكفروهم لأنهم يدينون بالحاكمية لغير الله، ولا يشترط إقامة الحجة، ولا يدرك أن أكثر من يكفروهم بالحاكمية لا يدينون بالحاكمية لأحد على الوجه الذي ذكره، ولا يدرك أن الروافض والقبوريين يفرحون بموقفه هذا من القبورية، ويأنسونه إليه.

(2) المائة: 44.

وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا⁽³⁾.

كما أنه سبحانه قد وصف اليهود والنصارى من قبل بالشرك والكفر والحيدة عن عبادة الله وحده واتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دونه لمجرد أن جعلوا للأحرار والرهبان ما يجعله الذين يقولون عن أنفسهم أنهم مسلمون لناس منهم! واعتبر الله سبحانه ذلك من اليهود والنصارى شركاً؛ كاتخاذهم عيسى ابن مريم رباً يؤلهونه ويعبدونه سواء؛ فهذه كتلك: خروج من العبودية لله وحده، فهي خروج من دين الله، ومن شهادة أن لا إله إلا الله⁽⁴⁾.

وهذه المجتمعات بعضها يعلن صراحة علمانيته وعدم علاقته بالدين أصلاً، وبعضها يعلن أنه يحترم الدين، ولكنه يخرج الدين من نظامه الاجتماعي أصلاً، ويقول: إنه ينكر الغيبة، ويقيم نظامه على العلمية؛ باعتبار أن العلمية تناقض الغيبة! وهو زعم جاهل، لا يقول به إلا الجاهل⁽⁵⁾، وبعضها يجعل الحاكمة الفعلية لغير الله، ويشرع ما يشاء، ثم يقول عما يشرعه من عند نفسه: هذه شريعة الله! وكلها سواء في أنها لا تقوم على العبودية لله وحده...

وإذا تعين هذا؛ فإن موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية كلها يتحدد في عبارة واحدة:

إنه يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها وشرعيتها في اعتباره!!..

قلت: يلاحظ أن سيد قطب في هذا الموضع، وفي جميع كتاباته في "الظلال" وغيره؛ أنه لا يعبأ بشرك القبور، والغلو في أهل البيت وفي الأولياء بالاعتقاد بأنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون، وبتقديم القرابين لهم، وإراقة الدموع والخشوع عند عتباتهم، ودعائهم والاستغاثة بهم لكشف الكروب وإزالة الخطوب، وشد الرحال والحج إلى

(3) النساء: 60 - 65.

(4) وهذا واضح في تكفيره المجتمعات الإسلامية.

(5) وهذا في غاية الصراحة والوضوح في تكفير المجتمعات الإسلامية.

قبورهم، والطواف بها، والاعتكاف حولها، وإقامة الأضرحة والمشاهد، وتشديد القباب بالأموال الطائلة لها، وغير ذلك من التصرفات.

ولا يحاسب الناس إلا على مخالفة الحاكمية، ولا يدور في تفسيره — (لا إله إلا الله) — إلا على الحاكمية والسلطة والربوبية؛ مفرغاً لا إله إلا الله عن معناها الأساسي الذي جاءت به جميع الكتب وجميع الرسل، ودان به علماء الإسلام مفسرون ومحدثون وفقهاء، ولا يكفر الناس إلا بالعلمنة وما تفرع عنها، ويبالغ في هذا أشد المبالغة؛ لأنها ضد الحاكمية في نظره، ويرمي المجتمعات الإسلامية بالكفر من هذا المنطلق، فيكون كلامه حقاً في العلمانيين فعلاً، وهم قلة في المجتمع، ويكون كلامه باطلاً وظلماً بالنسبة للسواد الأعظم من الناس؛ فإن كثيراً منهم يعادون العلمنة، ويبغضون أهلها إذا عرفوهم بذلك، وكثير منهم لا يعرفون هذه العلمنة، فهم مسلمون في الجملة، وعندهم خرافات وبدع، فإذا عُرِفوا بها؛ حاربوها وأهلها حاكمين أو محكومين، أحزاباً أو أفراداً.

وبالجملة؛ فسيد سلك مسلكاً في تكفير الناس لا يقره عليه عالم مسلم⁽⁶⁾؛ يرسل الكلام على عواهنه في باب الحاكمية، ويكفر عامة الناس بدون ذنب وبدون إقامة حجة وبدون التفات إلى تفصيلات العلماء في هذا الباب، هذا من جهة. ولا يعبأ بشرك القبور الذي يرتكبه الروافض وغلاة الصوفية ومن تابعهم من جهة أخرى، ولا يرى — في هذا الموضوع وفي كثير من المواضع — هذه الشراكيات منافية لمعنى لا إله إلا الله!.

لذا ترى الخوارج والروافض وكثيراً من أهل البدع والأهواء يرحبون بمنهجهم وبكتبه، ويفرحون ويعتزون بها، ويستشهدون بأقواله وتفسيراته، وإني لأرجو لكل مسلم صادق في دينه، خصوصاً الشباب الذين انخدعوا بمنهج سيد قطب أن يمين الله عليهم بجوده وفضله، فيدركوا ما وقعوا فيه من خطأ وبعد عن فقه الكتاب والسنة، وفقه سلف الأمة، فيعودوا إلى رحاب الحق والعلم والفهم الصحيح.

اعتبار سيد قطب مساجد المسلمين معابد جاهلية إنطلاقاً من تكفير مجتمعاتهم واعتبارها جاهلية:

(6) وقد أنكر ذلك عليه كثير من الناس؛ منهم أبو الحسن الندوي، وحسن الهضيبي، ويوسف القرضاوي؛ في مؤلفاتهم.

قال سيد قطب في تفسير قول الله تعالى: [وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ يَبُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ]⁽⁷⁾؛ قال⁽⁸⁾:

وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية، وهما ضروريتان للأفراد والجماعات، وبخاصة قبيل المعارك والمشقات، ولقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية، ولكن التجارب ماتزال إلى هذه اللحظة تنبئ بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة، وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي شيئاً كثيراً في ساعة الشدة.

وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة، ليست خاصة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة، وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة، وهنا يرشدنا الله إلى أمور:

1 - اعتزال الجاهلية ننتها وفسادها وشرها ما أمكن في ذلك، وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدرّبها وتنظمها، حتى يأتي وعد الله لها.

2 - اعتزال معابد الجاهلية، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعاً من التنظيم في جو العبادة الطهور.

فأي تكفير بعد هذا؟!

وقد ينظر هذا الرجل إلى بعض الأعمال الإسلامية، وإلى المعتقدات الإسلامية الصحيحة، فيراها جاهلية وضاللاً!!.

أليس هذا منه سعيًا في تخريب مساجد الله، وتعطيل شعائر الإسلام؟!

هذا الرجل؛ لو عاش في بلاد التوحيد؛ لراها تعيش في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء.

قال سيد عند آية [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ]⁽⁹⁾، وذكر الشرك

الخفي:

(7) يونس: 87.

(8) "في ظلال القرآن" (3/1816).

"وهذا الشرك الواضح الظاهر، وهو الدينونة لغير الله في شأن من شؤون الحياة، الدينونة في شرع يتحاكم إليه، وهو نص في الشرك لا يجادل عليه، والدينونة في تقليد من التقاليد؛ كاتخاذ أعياد ومواسم يشرعها الناس ولم يشرعها الله، والدينونة في زي من الأزياء⁽¹⁰⁾ يخالف ما أمر الله به من الستر، ويكشف أو يحدد العورات التي نصت شريعة الله أن تستر.

والأمر في مثل هذه الشؤون يتجاوز منطقة الإثم والذنب بالمخالفة حين يكون طاعة وخضوعاً ودينونة لعرف اجتماعي سائد من صنع العبيد، وتركاً للأمر الواضح الصادر من رب العبيد... إنه عندئذ لا يكون ذنباً، ولكنه يكون شرعاً؛ لأنه يدل على الدينونة لغير الله فيما يخالف أمر الله... وهو من هذه الناحية أمر خطير... ومن ثم يقول الله: [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ] (11) (12).

وفي هذا الكلام أمران خطيران:

أولهما: تكفير المجتمعات الإسلامية بالمعاصي والمخالفات الواقعة في العادات والتقاليد والأزياء، وهذا المذهب أشد وأخطر من مذهب الخوارج.

وثانيهما: تفسير القرآن بغير ما أراده الله بالشرك، إذ المراد بالشرك هنا ما استقر في القرآن والسنة وعرفه المسلمون، وهو الشرك الأكبر المطلق، وهو اتخاذ أنداد مع الله يستغاث بهم ويدبح لهم ويتقرب إليهم ويصرف لهم حق الله من العبادات التي أمرهم الله أن يعبدوه بها ويخلصوا بها الدين لله.

شرك العرب الحقيقي والأساسي عند سيد قطب إنما هو في الحاكمية فقط، وليس في العبادة والاعتقاد:

قال سيد:

(9) يوسف: 106.

(10) كل من سيد قطب وأخيه يخلقان لهما، ويكشفان رأسيهما، ويلبسان البدلة والكفنة على طريقة الإفرنج؛ تقليداً واعتزازاً بهذا المظهر الإفرنجي، ولا ينكران على غيرهما هذا وأمثاله؛ فبماذا يحكممان على أنفسهما؟! وبعد جهد ومدة طويلة في الحجاز، أرسل محمد قطب رمزاً للحية، وعمره يناهز الستين، ولعله على مضض، ولم يغير زيه.

(11) يوسف: 106.

(12) "الظلال" (2033/4).

"فهكذا كان تصورهم للحقيقة الإلهية، واستحضارهم لها في كل مناسبة، ولم يكن أمرهم أنهم لا يعرفون الله، أو لا يعرفون أنه ما لأحد بالله من طاقة، أو لا يعرفون أنه هو الذي يحكم ويفصل بين الجبهتين حيث لا راد لحكمه! إنما كان شركهم الحقيقي يتمثل ابتداء في تلقي منهج حياتهم وشرائعهم من غير الله، الذي يعرفونه ويعترفون به على هذا النحو... الأمر الذي يشاركهم فيه اليوم أقوام يظنون أنهم مسلمون - على دين محمد - كما كان المشركون يظنون أنهم مهتدون على دين أبيهم إبراهيم! حتى لكان أبو جهل - وهو أبو جهل - يستفتح على الله، فيقول: "اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يعرف - وفي رواية: اللهم أضل الفريقين وأقطعهما للرحم - فأحنه الغداة!"

فأما تلك الأصنام التي عرف أنهم يعبدونها؛ فما كان ذلك قط لاعتقادهم بألوهية لها كألوهية الله سبحانه، ولقد صرح القرآن الكريم بحقيقة تصورهم الاعتقادي فيها، وبسبب تقديمهم الشعائر لها في قوله تعالى: [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...]⁽¹³⁾؛ فهذا كان مبلغ تصورهم لها... مجرد شفعاء عند الله... وما كان شركهم الحقيقي من هذه الجهة، ولا كان إسلام من أسلم منهم متمثلاً في مجرد التخلي عن الاستشفاع بهذه الأصنام، وإلا فإن الحنفاء الذين اعتزلوا عبادة الأصنام هذه وقدموا الشعائر لله وحده ما اعتبروا مسلمين! إنما تمثل الإسلام في الاعتقاد والشعائر وإفراد الله سبحانه بالحاكمية، والذين لا يفردون الله سبحانه بالحاكمية - في أي زمان وفي أي مكان - هم مشركون، لا يخرجهم من هذا الشرك أن يكون اعتقادهم أن لا إله إلا الله - مجرد اعتقاد -، ولا أن يقدموا الشعائر لله وحده... فإلى هنا يكونون كالحنفاء الذين لم يعتبرهم أحد مسلمين، إنما يعتبر الناس مسلمين حين يتمون حلقات السلسلة، أي حين يضمون إلى الاعتقاد والشعائر إفراد الله سبحانه بالحاكمية، ورفضهم الاعتراف بشرعية حكم أو قانون أو وضع أو قيمة أو تقليد لم يصدر عن الله وحده... وهذا وحده هو الإسلام؛ لأنه وحده مدلول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ كما عرف هذا المدلول في الاعتقاد الإسلامي وفي الواقع الإسلامي سواء!... ثم أن يتجمع هؤلاء الذين يشهدون أن لا إله إلا الله على هذا النحو وبهذا المدلول في تجمع حركي بقيادة مسلمة، وينسلخوا من التجمع الجاهلي وقيادته الجاهلية!.

(13) الزمر: 3

وهذا ما ينبغي أن يتبينه الذين يريدون أن يكونوا مسلمين، فلا تخدعهم عن حقيقة ما هم فيه خدعة أنهم مسلمون اعتقاداً وتعبداً؛ فإن هذا وحده لا يجعل الناس مسلمين ما لم يتحقق لهم أنهم يفردون الله سبحانه بالحاكمة، ويرفضون حاكمية العبيد، ويخلعون ولاءهم للمجتمع الجاهلي ولقيادته الجاهلية.

إن كثيراً من المخلصين الطيبين تخدعهم هذه الخدعة... وهم يريدون لأنفسهم الإسلام، ولكنهم يُخدعون عنه، فأولى لهم أن يستيقنوا صورة الإسلام الحقيقية والوحيدة، وأن يعرفوا أن المشركين من العرب الذين يحملون اسم المشركين لم يكونوا يختلفون عنهم في شيء! فلقد كانوا يعرفون الله بحقيقته - كما تبين -، ويقدمون له شفعاء من أصنامهم، وكان شركهم الأساسي يتمثل - لا في الاعتقاد - ولكن في الحاكمية⁽¹⁴⁾.

وإذا كان ينبغي للطيبين المخلصين الذين يريدون أن يكونوا مسلمين أن يتبينوا هذه الحقيقة؛ فإن العصبية المسلمة التي تجاهد لإعادة نشأة هذا الدين في الأرض في عالم الواقع يجب أن تستيقن هذه الحقيقة بوضوح وعمق، ويجب ألا تتلجلج فيها أي تلجلج، ويجب أن تعرف الناس بها تعريفاً صريحاً واضحاً جازماً... فهذه هي نقطة البدء والانطلاق... فإذا انخرفت الحركة عنها - منذ البدء - أدنى انحراف؛ ضلت طريقها كله، وبنت على

(14) أقول: إن النجاشي أسلم في عهد النبي ﷺ، وكان إسلامه في الاعتقاد فقط، فلم يستطع أن يطبق شعائر الإسلام التعبدية، ولم يطبق الحاكمية في دولته، ولم يقيم بالهجرة، ومع هذا كله كان له منزلة عند رسول الله ﷺ، ولما مات؛ أخبر رسول الله ﷺ بموته، وقال لأصحابه: "صلوا على أخيكم"، وصلى عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

أفرايت لو أن النجاشي آمن بالحاكمة فقط، ولم يؤمن بقاعدة التوحيد، أيعده رسول الله ﷺ مؤمناً ويصلي عليه هو وأصحابه كما يصلي على المسلمين؟! نريد الإجابة على هذا السؤال الملح.

ثم ألا يرى السياسيون على طريقة سيد قطب الفرق الهائل بين دعوة الأنبياء إلى التوحيد وبين دعوتهم، وأنهم متنكبون لدعوة الرسل ومنهجهم في الدعوة إلى توحيد الله في العبادة أولاً، ثم بناء مابعداها من أمور الإسلام عليها؛ إذ هي الأصل والأساس والقاعدة الصلبة لدعواتهم جميعاً.

أخرجه البخاري في (كتاب الجنائز، باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد) عن أبي هريرة، ولفظه: "نعي لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحيشة يوم الذي مات فيه، فقال: استغفروا لأخيكم" (3/236/ رقم 1327 - الفتح).

وله بلفظ آخر عن جابر؛ قال: قال النبي ﷺ: "قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش، فهلهم فصلوا علي..." الحديث (باب الصفوف على الجنازة/3/1320 - الفتح).

وأخرجه مسلم بلفظ: "إن أحبا لكم قد مات، فقوموا فصلوا عليه" (التكبير على الجنازة/23/7 - نووي).

غير أساس، مهما توافر لها من الإخلاص بعد ذلك والصبر والتصميم على المضي في الطريق!"⁽¹⁵⁾.

فترى الرجل يضطرب ويتناقض في هذا الموضع، ولكنه ينتهي إلى تقرير أن الشرك الحقيقي والأساسي إنما يتمثل في الحاكمية، لا في الاعتقاد، وهذه هي القاعدة الخطيرة التي ينطلق منها اليوم كثير ممن يسمون بالدعاة إلى الإسلام، في الضياع توحيد الأنبياء!.

انظر قوله: "... فهذا كان مبلغ تصورهم لها (أي: الأصنام)... مجرد شفعاء عند الله... وما كان شركهم الحقيقي من هذه الجهة، ولا كان إسلام من أسلم منهم متمثلاً في مجرد التخلي عن الاستشفاع بهذه الأصنام، وإلا؛ فإن الحنفاء الذين اعتزلوا عبادة الأصنام هذه وقدموا لله وحدة الشعائر ما اعتبروا مسلمين!"

أقول: هذه حال معظم الأنبياء والرسل وأممهم، حيث لم تكن لهم دول ولا حكومات، ويأتي النبي ومعه الرهط، ويأتي النبي ومعه الرهيط، والرجل، والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد...

وهذا يكشف لنا سر تهاون سيد قطب بالشرك الأكبر، الشرك الاعتقادي، شرك القبور، والشرك في العبادة، الذي حاربه الرسل جميعاً، والذي هو محور الصراع بينهم وبين أقوامهم.

ومن موقف سيد قطب هذا من عبادة الأوثان ندرك أنه أقل حساسية وأقل مبالاة ضد عبادة الأوثان من الروافض والقبوريين؛ لأن هؤلاء لا يشكون ولا يترددون في الحكم على عبادة الأوثان أنها أعظم الذنوب، وأنها الشرك الأكبر، ولا يهونون من شأنه؛ مثل سيد، أما سيد؛ فحاله وموقفه كما رأيت مع الأسف الشديد.

ومن هنا ندرك سر اهتمام أتباعه بالسياسة والحاكمية، وتجنيدهم كل طاقاتهم وإمكاناتهم في سبيلهما، وتوجيه الأمة لهما، ورمي من اشتغل بغيرهما من التوحيد وفروض الأعيان والكفايات من أمور الإسلام بالعلمنة، واستخفافهم بدعاة التوحيد وإخلاص العبادة لله على طريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام، واتباعاً لتوجيهات القرآن الكريم المتزل من رب العالمين، يستخفون بهم وبدعوتهم، ويعتبرون ذلك من الانشغال بالجزئيات، ويسمون الشرك الأكبر بالشرك البدائي والشعبي، وما يسمونه هم شركاً ويتخيلونه

(15) "الظلال" (1492/3).

بالشرك الحضاري، ويلبسون على الناس دينهم وعقائدهم، ويزعمون لهم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما كانوا على منهج قطب وأمثاله، همهم الأكبر ودعوتهم الأساسية إنما هما الصراع السياسي والمصارعة على الكراسي، ومحاربة القصور لا الأوثان والقبور، فاللهم أنقذ دينك وأمة الإسلام من هذا الخط والتلبس والحيل والتدليس.

وأما قوله: "إن الحنفاء ما كانوا مسلمين"؛ ففي غاية المجازفة والقول على الله وعلى الإسلام بغير علم، ومن البراهين الواضحة على استهانتهم بالتوحيد، واستهانتهم بالشرك الأكبر!.

كيف يقول هذا في قوم بذلوا غاية وسعهم في الفرار من غضب الله والفرار من الشرك الأكبر والفرار من النار من دون داع يدعوهم إلى الله، بل ذلك بدافع من فطرتهم السليمة وعقولهم المستقيمة، بل قبل ذلك برعاية الله لهم وتوفيقه إياهم، بهذا وذاك خرجوا من الجاهلية والشرك إلى التوحيد والحنيفية دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي قال الله في شأنه لنبيه الكريم:

[قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] (16).

أفمن كان على هذا الدين وهذه الملة يقال: إنه ليس من المسلمين؟!

فهذا زيد بن عمرو بن نفيل، أحد الحنفاء، يروي البخاري (17) قصته عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: "إن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال: إني لعلي أن أدين دينكم؛ فأخبرني؟ فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله. فقال زيد: ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً، أنى أستطيعه؟! فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم؛ لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله. فخرج زيد، فلقي عالماً من النصارى، فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله. قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً، وأنى أستطيع؟! فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا

(16) الأنعام: 161.

(17) (63 - مناقب الأنصار / رقم 3826 و 3827).

يعبد إلا الله. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام؛ خرج، فلما برز؛ رفع يديه، فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم".

أفبعد هذا الجد والإلحاح في طلب الحق واختياره بعد رفض

الشرك واليهودية والنصرانية يقال فيه وفي أمثاله من الحنفاء⁽¹⁸⁾: إنهم ليسوا بمسلمين؟! وقد روى البخاري عن ابن عمر عن زيد بن عمرو: أنه كان ينكر على قريش الذبح للأوثان.

وقال ابن كثير: وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان، وفارق دينهم، وكان لا يأكل إلا ماذبح على اسم الله وحده⁽¹⁹⁾.

وقال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحاق، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر؛ قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو ابن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة؛ يقول: يامعشر قريش! والذي نفس زيد بيده؛ ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري. ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به، ولكنني لا أعلمه، ثم يسجد على راحته⁽²⁰⁾.

وروى ابن كثير رحلة زيد بن عمرو في البحث عن الدين الحق نحواً مما روى البخاري، وفي آخرها: "قال زيد: اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم، عليه أحيا وعليه أموت، فذكر شأنه للنبي ﷺ، فقال: "هو أمة وحده"⁽²¹⁾.

ثم قال ابن كثير: "إن ابن عساكر أورد من طرق متعددة عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يبعث يوم القيامة أمة وحده"⁽²²⁾.

ثم ساق ابن كثير طريقاً عن مجالد عن الشعبي عن جابر؛ قال: سئل رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل: أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية، ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم، ويسجد، فقال رسول الله ﷺ: "يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى بن مريم"، ثم قال: "إسناده جيد"⁽²²⁾.

وقال الحافظ ابن حجر: "وكان (يعني زيدا) ممن يطلب التوحيد وخلع الأوثان، وجانب الشرك، لكنه مات قبل المبعث، فروى محمد بن سعد والفاكهي من حديث عامر

(18) كقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وشيوخ سلمان الفارسي من الرهبان الذين كانوا على دين الحق.

(19) "البداية والنهاية" (221/2).

(20) "البداية والنهاية" (221/2)، و"السيرة النبوية" لابن هشام (224/1).

(21) "البداية والنهاية" (222/2).

(22) "البداية والنهاية" (224/2).

بن ربيعة (وساق قصة طويلة عنه، وفيها قال النبي ﷺ: "ولقد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً" (23)).

وقال الحافظ: "وروى البزار والطبراني من حديث زيد بن عمرو (وذكر قصته، وفي آخرها قال سعيد بن زيد: فسألت أنا وعمر رسول الله ﷺ عن زيد، فقال: "غفر الله له ورحم؛ فإنه مات على دين إبراهيم".

فهذا حاله وواقعه في نظر الإسلام وعلمائه، ومثله كل من مات على الحنيفية، وذلك يخالف ما يراه سيد قطب الذي لا يرى للتوحيد والكفر بالأوثان كبير قيمة ولا كبير وزن. والله المستعان.

وانظر مرة أخرى إلى قوله — بعد تمهيد خطير فيه أن المسلمين اعتقاداً أو تعبداً ليسوا مسلمين، ولا فرق بينهم وبين مشركي العرب في الجاهلية —؛ يقول:

"فأولى لهم أن يستيقنوا صورة الإسلام الحقيقية الوحيدة، وأن يعرفوا أن المشركين من العرب الذين يحملون اسم المشركين لم يكونوا يختلفون عنهم في شيء؛ فلقد كانوا يعرفون الله بحقيقته — كما تبين —، ويقدمون له شفعاء من أصنامهم، وكان شركهم الأساسي يتمثل لا في الاعتقاد، ولكن في الحاكمية!!"

ألا ترى في قوله هذا أكبر مغالطة ومجازفة؟!

ألا ترى في محاولة إبعاد الشرك الاعتقادي والعبادي عن ميدان الدعوة والجهاد؟! ومن هنا يكاد يحصر الشرك الأساسي والحقيقي في شرك الحاكمية، ويوجه نصيحته لأتباعه بأن الحاكمية هي نقطة البدء والانطلاق، فإذا انحرفت الحركة عنها — منذ البدء — أدنى انحراف؛ ضلت طريقها كله، وبنيت على غير أساس، مهما توافر لها من الإخلاص بعد ذلك والصبر والتصميم على المضي في الطريق.

أقول: إن من يعرف دعوات الأنبياء التي قصها الله علينا في كتابه الكريم ليدرك تمام الإدراك المصادمة الواضحة بين كلام سيد وبين ما قصه الله عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في منطلق الدعوة إلى الله، وأنها تبدأ بالتوحيد ومحاربة الشرك الأكبر (عبادة الأوثان) وما شاكلها، وأن ما يدعو إليه سيد ويدعيه من أن نقطة البدء تكون من الحاكمية، والانطلاق منها، هو الانحراف الحقيقي من البداية، وذلك لأمر:

(23) "الفتح" (143/7).

أولاً: لأن هذا الانطلاق مخالف لمنهج الأنبياء في البدء بالدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك العقائدي (عبادة الأوثان) وغيرها من دون الله.

ثانياً: لأن الانطلاق من الحاكمية لابد أن يكون قائماً على الهوى والرغبة في الوصول إلى السلطة والتحكم في رقاب الناس، ولابد أن تقوم على الكذب والمراوغات، ولابد أن يندس في صفوف حملة هذه الدعوة السياسية أناس أهل أغراض وأهواء وعقائد فاسدة؛ كما هو الشأن في الدعوات السياسية.

وإننا لنشاهد ثمار مثل هذه الدعوة ونتائجها متمثلة في تحالفات شيوعية وعلمانية ورافضية، ومتمثلة في نزاعات دموية للوصول للسلطة، يستعان فيها بالملاحدة والشيوعيين وأصناف الغالين.

ويقول سيد قطب تحت عنوان (حاضر الإسلام ومستقبله):

"ونحن ندعوا إلى استئناف حياة إسلامية في مجتمع إسلامي تحكمه العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي كما تحكم الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي، ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية - على هذا النحو - قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك.

ونحن نجهر بهذه الحقيقة الأخيرة، على الرغم مما قد تحدثه من صدمة وذعر وخيبة أمل ممن لا يزالون يحبون أن يكونوا مسلمين.. ونجهر بها على هذا النحو في الوقت الذي ندعوا إلى استئناف حياة إسلامية في مجتمع إسلامي تحكمه العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي كما تحكمه الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي، ولا نرى أن في رؤية تلك الحقيقة والجهر بها كذلك ما يدعو إلى خيبة الأمل أو اليأس من هذه الدعوة ومن هذه المحاولة، على العكس، نرى أن الجهر بهذه الحقيقة المؤلمة - حقيقة أن الحياة الإسلامية قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك - نرى أن الجهر بهذه الحقيقة ضرورة من ضرورات الدعوة إلى الإسلام، ومحاولة استئناف حياة إسلامية ضرورة لا مفر منها".

ثم فسر (لا إله إلا الله) بالحاكمية، والحاكمية بالقدر والشرع، وأعرض عن تفسيرها الحقيقي: (لا معبود بحق إلا الله).

ثم قال: "ونحن لا نحدد مدلول الدين ولا مفهوم الإسلام على هذا النحو من عند أنفسنا... ففي مثل هذا الأمر الخطير الذي يترتب عليه تقرير مفهوم لدين الله كما يترتب عليه الحكم بتوقف وجود الإسلام في الأرض اليوم، وإعادة النظر في دعوى مئات الملايين من الناس أنهم مسلمون"⁽²⁴⁾.

"... في مثل هذا الأمر لا يجوز أن يفتي الإنسان فيما يقصم الظهر في الدنيا والآخرة جميعاً، إنما الذي يحدد مدلول الدين على هذا النحو ومفهوم الإسلام هو الله سبحانه، إله هذا الدين"⁽²⁵⁾، ورب هذا الإسلام...

وذلك في نصوص قاطعة لا سبيل إلى تأويلها ولا الاحتيال عليها.

[إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ]⁽²⁶⁾.

[وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ]⁽²⁷⁾.

[وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]⁽²⁸⁾.

وساق آيات آخر كلها في الحاكمية، ولم يسق أية واحدة من آيات توحيد العبادة، ولا من آيات توحيد الأسماء والصفات، ثم ساق مقطعاً حصر فيه الإسلام في الحاكمية، ثم قال:

"وحين نستعرض وجه الأرض كله اليوم، على ضوء هذا التقرير الإلهي لمفهوم الدين والإسلام، لا نرى لهذا الدين وجوداً... إن هذا الوجود قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة من المسلمين عن أفراد الله بالحاكمية في حياة البشر، وذلك يوم أن تخلت عن الحكم بشريعته وحدها في كل شؤون الحياة.

ويجب أن نقرر هذه الحقيقة الأليمة، وأن نبهر بها، وأن لا نخشى خيبة الأمل التي تحدثها في قلوب الكثير الذين يحبون أن يكونوا مسلمين؛ فهؤلاء من حقهم أن يستيقنوا؛ كيف يكونون مسلمين؟! إن أعداء هذا الدين بذلوا طوال قرون كثيرة ومايزالون يبذلون

⁽²⁴⁾ "العدالة الاجتماعية" (ص 182/ الطبعة الثانية عشرة).

⁽²⁵⁾ هذا التعبير غير صحيح؛ فالدين هو شرع الله وكلامه المنزل على رسوله، وليس عبداً مخلوقاً مكلفاً بعبادة الله والتأله له حتى يقال: إله هذا الدين، وإنما يقال: إله الناس، وإله الملائكة... وغيرهم ممن خلق للتأله والعبادة.

⁽²⁶⁾ يوسف: 40.

⁽²⁷⁾ المائدة: 49.

⁽²⁸⁾ المائدة: 45.

جهوداً ضخمة مأكرة خبيثة؛ ليستغلوا إشفاق الكثيرين الذين يحبون أن يكونوا مسلمين. من وقع هذه الحقيقة المريرة، ومن مواجهتها في النور، وتخرجهم كذلك من إعلان أن وجود هذا الدين قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة مسلمة في الأرض عن تحكيم شريعة الله في أمرها كله، فتخلت بذلك عن أفراد الله سبحانه بالحاكمة [أو بالألوهية]؛ فهذه مرادفة لتلك أو ملازمة لها، ولا تتخلف"⁽²⁹⁾.

أقول:

- 1) فترى الرجل يدعو إلى استئناف حياة إسلامية بجرارة؛ لأنها غير موجودة.
- 2) ويصرح بأن الحياة الإسلامية قد توقفت.
- 3) وأن وجود الإسلام قد توقف.
- 4) ويصرح بقوله: "ونحن نجهر بهذه الحقيقة الأخيرة على الرغم مما قد تحدثه من صدمة وذعر وخيبة أمل ممن لا يزالون يحبون أن يكونوا مسلمين"؛ فهو لا يراهم مسلمين، بل يرى أنهم لا يزالون يحبون أن يكونوا مسلمين؛ فهم كفار جاهليون وليسوا مسلمين.
- 5) ويكرر القول بأنه لا يرى لهذا الدين وجوداً: "إن هذا الدين قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة من المسلمين عن أفراد الله بالحاكمة في حياة البشر".
- ويكرر أن هذه المجتمعات تحب الإسلام فقط؛ يعني: وليسوا بمسلمين، فضلاً عن أن يكونوا أو يكون جماعة منهم مؤمنين.
- 6) ويكرر مرة أخرى ويؤكد أن الموجودين من المسلمين إنما هم محبون للإسلام، ولا ينبغي أن يتخرجوا من إعلان أن وجود هذا الدين قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة في الأرض عن تحكيم شريعة الله، ولا يعترف أبداً بأن هناك جهاداً سلفياً في الجزيرة العربية قد قام وجدد الإسلام وأقام دولة تحكم بشريعة الله على أساس التوحيد والكتاب والسنة، أفبعد هذا التكفير للأمة تكفير؟! فما هو التكفير إذن إذا لم يكن هذا التقرير القوي بالتكفير تكفيراً أيها العقلاء؟!
- حكم سيد قطب على المجتمعات الإسلامية بأنها مجتمعات مرتدة، وأنها أشد عذاباً عند الله من الكفار الأصليين:

(29) "العدالة الاجتماعية" (ص 183 - 184 الطبعة الثانية عشرة).

قال سيد:

"لقد استدار الزمان كهيئة يوم جاء هذا الدين إلى البشرية، وعادت البشرية إلى مثل الموقف الذي كانت فيه يوم تنزل هذا القرآن على رسول الله ﷺ ويوم جاءها الإسلام مبنياً على قاعدته الكبرى: (شهادة أن لا إله إلا الله)... شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبر عنه ربي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس وهو يسأله: ما الذي جاء بكم؟ فيقول: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام... وهو يعلم أن رستم وقومه لا يعبدون كسرى بوصفه إلهاً خالقاً للكون⁽³⁰⁾، ولا يقدمون له شعائر العبادة المعروفة، ولكنهم إنما يتلقون منه الشرائع، فيعبدونه بهذا المعنى الذي يناقض الإسلام وينفيه، فأخبره أن الله ابتعثهم ليخرجوا الناس من الأنظمة والأوضاع التي يعبد العباد فيها العباد، ويقرون لهم بخصائص الألوهية - وهي: الحاكمية، والتشريع والخضوع لهذه الحاكمية، والطاعة لهذا التشريع، وهي الأديان -... إلى عبادة الله وحدة وإلى عدل الإسلام.

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية — (لا إله إلا الله)؛ فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: لا إله إلا الله؛ دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا

(30) إن الفرس الذين اندفع المسلمون لجهادهم كانوا مجوساً يعبدون النار، وعقائدهم وشرائعهم تقوم على الوثنية، والمسلمون يريدون إخراجهم من هذا الشرك بالدرجة الأولى؛ فكيف يغفل سيد قطب هذا ويحاسبهم على الجانب السياسي فقط.

ليس في قول ربي ما يفيد إلا إخراج الناس من عبادة العباد كالملائكة والأنبياء الصالحين ولا تعرض فيه للأنظمة وإنما هو تفسير سياسي فيه تحريف لهذا النص كعادة سيد قطب في تحريف معنى العبادة ومعنى الألوهية إلى الحاكمية والسلطة والأنظمة إلى آخر التحريفات الرهيبة لدعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام. وينبغي أن أسوق هنا ما أخرجه البخاري في صحيحه في الجزية حديث 3159 عن جبير بن حية قال: "... فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً، فقام ترجمان فقال لي كلمني رجل منكم. فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد. نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر وونعبد البحر والحجر فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين - تعالى ذكره وجلت عظمتة - إلينا نبينا من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقابلكم حتى تعبدوا الله وحده. أو تؤدوا الجزية وأخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثله قط ومن بقي منا ملك رقابكم. فهذا النص يفيد أن الجهاد إنما هو ليعبد الناس الله وحده وهذا تحقيق لمعنى لا إله إلا الله والعبادة وأنواعها معروفة ومن أرى ذلك أدى الجزية، فهل أداء الجزية عبادة لله يتحقق بها معنى لا إله إلا الله لا سيما بعد إسقاط أنظمة الكفر والشرك نعوذ بالله من هذا التحريف الخطير الذي لا يعرف له نظير.

المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعيها العباد لأنفسهم، وهي مرادف الألوهية، سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب فالأفراد كالتشكيلات كالشعوب ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية... إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحيد الله، وتخلص له الولاء...

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله؛ بلا مدلول ولا واقع... وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد - من بعد ما تبين لهم الهدى - ومن بعد أن كانوا في دين الله!

فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف طويلاً أمام هذه الآيات البينات⁽³¹⁾»⁽³²⁾.
ويقول سيد:

"إنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها هذا العذاب: [أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ]⁽³³⁾؛ إلا بأن تنفصل هذه العصبة عقيدياً وشعورياً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها، حتى يأذن الله لها بقيام (دار إسلام) تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة، وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه، جاهلية وأهل جاهلية، وأن تفاصيل قومها على العقيدة والمنهج، وأن تطلب بعد ذلك من الله أن يفتح بينها وبين قومها بالحق وهو خير الفاتحين"⁽³⁴⁾.

ويقول سيد:

"إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقهاء الإسلاميين"⁽³⁵⁾.

ويقول سيد:

⁽³¹⁾ في هذا الكلام تكفير واضح للأمة الإسلامية كلها، وحكم عليها بالردة، وأنهم أشد الكفار عذاباً؛ لأنهم ارتدوا بعدما تبين لهم الهدى.

⁽³²⁾ "في ظلال القرآن" (2/1057).

⁽³³⁾ الأنعام: 65.

⁽³⁴⁾ "في ظلال القرآن" (2/1125).

⁽³⁵⁾ "في ظلال القرآن" (4/2122).

"فأما اليوم؛ فماذا؟! أين هو المجتمع المسلم الذي قرر أن تكون دينونته لله وحده، والذي رفض بالفعل الدينونة لأحد من العبيد، والذي قرر أن تكون شريعة الله شريعته، والذي رفض بالفعل شريعة أي تشريع لا يجيء من هذا المصدر الشرعي الوحيد؟ لا أحد يملك أن يزعم أن هذا المجتمع المسلم قائم موجود!"⁽³⁶⁾.

نقول: ليس بعد هذا التكفير العنيف شيء مع معاصرتة لجهاد السلفيين في الجزيرة، وإقامتهم دولة إسلامية على التوحيد والكتاب والسنة، ومعاصرتة للسلفية في الهند تجاهد بالسيف وفي ميدان الدعوة، وأهلها يقدررون بالملايين، وكذلك دعوة التوحيد كانت قائمة في مصر في عصره على أيدي السلفيين أنصار السنة، والرجل لا يعد هذه المجتمعات إسلامية.

ويقول وهو يتحدث عن حكم تركية النفس:

"لقد نشأ هذا الحكم - كما نزلت تلك النصوص - في مجتمع مسلم، ليطبق في هذا المجتمع، وليعيش في هذا الوسط، وليلي حاجة ذلك المجتمع، وفق نشأته التاريخية، ووفق تركيبه العضوي، ووفق واقعه الذاتي؛ فهو من ثم حكم إسلامي، جاء ليطبق في مجتمع إسلامي، وقد نشأ في وسط واقعي، ولم ينشأ في فراغ مثالي.

وهو من ثم لا يطبق ولا يصلح ولا ينشئ آثاره الصحيحة إلا إذا طبق في مجتمع إسلامي... إسلامي في نشأته وفي تركيبه وفي التزامه بشريعة الإسلام كاملة، وكل مجتمع لا تتوافر فيه هذه المقومات كلها يعتبر فراغاً بالقياس إلى ذلك الحكم، لا يملك أن يعيش فيه، ولا يصلح له كذلك.

ومثل هذا الحكم كل أحكام النظام الإسلامي، وإن كنا في هذا المقام لانفصل إلا هذا الحكم، بمناسبة ذلك السياق القرآني"⁽³⁷⁾.

وهكذا يرى سيد أن المجتمعات الإسلامية اليوم لا يصلح تطبيق أحكام النظام الإسلامي ولا ينشئ آثاره فيها.

فلو أن حاكماً من حكام بلدان الإسلام رغب وجد في تطبيق الإسلام في بلده؛ فإن سيد قطب يوجه له هذه النصيحة، إنه لا يصلح تطبيق الإسلام في هذا البلد، ولا

⁽³⁶⁾ "في ظلال القرآن" (3/1735).

⁽³⁷⁾ "في ظلال القرآن" (4/2007).

ينشئ تطبيق أحكام الإسلام آثاره حتى ينشأ مجتمع إسلامي جديد، تتوافر فيه الشروط التي يشترطها سيد قطب فاعتبروا يا أولي الأبصار!

ويقول سيد قطب مؤكداً ما سبق، منتقداً من يفكرون في النظام الإسلامي:

"إن الذين يفكرون في النظام الإسلامي اليوم وتشكيلاته - أو يكتبون -، يدخلون في متاهة! ذلك أنهم يحاولون تطبيق قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية المدونة في فراغ، يحاولون تطبيقها في هذا المجتمع الجاهلي القائم، بتركيبه العضوي الحاضر، وهذا المجتمع الجاهلي الحاضر يعتبر - بالقياس إلى طبيعة النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية - فراغاً لا يمكن أن يقوم فيه هذا النظام، ولا أن تطبق فيه هذه الأحكام... إن تركيبه العضوي مناقض تماماً للتركيب العضوي للمجتمع المسلم. فالمجتمع المسلم - كما قلنا - يقوم تركيبه العضوي على أساس ترتيب الشخصيات والفئات كما ترتبها الحركة لإقرار هذا النظام في عالم الواقع، ومجاهدة الجاهلية لإخراج الناس منها إلى الإسلام مع تحمل ضغوط الجاهلية، وما توجهه من فتنة وإيذاء وحرب على هذه الحركة، والصبر على الابتلاء وحسن البلاء من نقطة البدء إلى نقطة الفصل في نهاية المطاف، أما المجتمع الجاهلي الحاضر؛ فهو مجتمع راكد، قائم على قيم لا علاقة لها بالإسلام، ولا بالقيم الإيمانية... وهو - من ثم - يعد بالقياس إلى النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية فراغاً لا يعيش فيه هذا النظام ولا تقوم فيه هذه الأحكام"⁽³⁸⁾.

وفي هذا الكلام تكفير واضح للمجتمعات الإسلامية، لا يجادل فيه إلا مباحث معاند.

ومن المستغرب أن سيّداً لا يتملّص مما وقعت فيه المجتمعات الإسلامية من انحراف في توحيد الألوهية، والتعلق بالقبور دعاءً واستغاثة، وذبحاً ونذراً... إلى آخره، ولا يرى ذلك من الضلال، ولا يرى الانحراف إلا في الحاكمية، ثم مع كل هذا يعارض في تطبيق الحاكمية!!

فماذا يريد هذا الرجل!؟

ويقول مؤكداً ما سبق:

(38) "في ظلال القرآن" (4/2009).

"إن الفقه الإسلامي لا ينشأ في فراغ، ولا يعيش في فراغ كذلك، لا ينشأ في الأدمغة والأوراق، وإنما ينشأ في الحياة، وليس أية حياة، إنما هي حياة المجتمع المسلم على وجه التحديد ومن ثم لا بد أن يوجد المجتمع أولاً بتركيبه العضوي الطبيعي، فيكون هو الوسط الذي ينشأ فيه الفقه الإسلامي ويطبق، وعندئذ تختلف الأمور جداً، وساعتها قد يحتاج ذلك المجتمع الخاص - بعد نشأته في مواجهة الجاهلية وتحركه في مواجهة الحياة - إلى البنوك وشركات التأمين وتحديد النسل... إلخ، وقد لا يحتاج! ذلك أننا لا نملك سلفاً أن نقدر أصل حاجته، ولا حجمها ولا شكلها، حتى نشرع لها سلفاً! كما أن مالدينا من أحكام هذا الدين لا يطابق حاجات المجتمعات الجاهلية ولا يليها... ذلك أن هذا الدين لا يعترف ابتداءً بشرعية وجود هذه المجتمعات الجاهلية، ولا يرضى ببقائها ومن ثم فهو لا يعني نفسه بالاعتراف بحاجاتها الناشئة من جاهليتها، ولا بتليتها كذلك" (39).

وفي هذا إلى جانب تكفيره للمجتمعات الإسلامية لأجل أن حياتها قامت على غير حاكمية الله يفهم من كلامه أنه يجيز أن تقوم شركات تأمين في المجتمع الذي سيقومه سيد وأتباعه، وكذلك يفهم من كلامه أن يجيز تحديد النسل، وهذه فكرة يهودية ناشئة عن سوء الظن بالله.

ويقول سيد بالاشتراكية الغالية، التي منها تأميم الثروات والممتلكات، ولو قامت على الأسس الإسلامية، وهي اشتراكية كافرة، ينشرها ويروج لها الشيوعيون، وقد تقوم هذه الدولة على تشييد القبور ونشر الرفض؛ فماذا يستفيد الإسلام والمسلمون من وراء هذا الهدم والبناء الفاسد، والله إن دلائل ما نقوله لتلوح، بل قد قامت في بعض البلدان التي ضاع فيها جهاد المسلمين الطويل المرير.

ويقول سيد قطب مؤكداً ما سبق (40).

"إن المحنة الحقيقية لهؤلاء الباحثين أنهم يتصورون أن هذا الواقع الجاهلي هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه! ولكن الأمر غير ذلك تماماً... إن دين الله هو الأصل، يجب على البشرية أن تطابق نفسها عليه، وأن تحور من واقعها الجاهلي وتغير حتى تتم هذه المطابقة... ولكن هذا التحور وهذا التغير لا يتم عادة إلا عن طريق

(39) "في ظلال القرآن" (4/2010).

(40) "في ظلال القرآن" (4/2010).

واحد، هو التحرك في وجه الجاهلية، لتحقيق ألوهية الله في الأرض، وربوبيته وحده للعباد، وتحرير الناس من العبودية للطاغوت، بتحكيم شريعة الله وحدها في حياتهم...

وهذه الحركة لابد أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء، فيفتن من يفتن، ويرتد من يرتد، ويصدق الله من يصدقه، فيقضي نحبه ويستشهد، ويصبر من يصبر، ويمضي في حركته حتى يحكم الله بينه وبين قومه بالحق، وحتى يمكن الله له في الأرض، وعندئذ فقط يقوم النظام الإسلامي، وقد انطبع المتحركون لتحقيقه بطابعه، وتميزوا بقيمه... وعندئذ تكون لحياهم مطالب وحاجات تختلف في طبيعتها وفي طرق تلبيتها عن حاجات المجتمعات الجاهلية ومطالبها وطرق تلبيتها... وعلى ضوء واقع المجتمع المسلم يومذاك تستنبط الأحكام، وينشأ فقه إسلامي حي متحرك، لا في فراغ، ولكن في وسط واقعي محدد المطالب والحاجات والمشكلات".

أقول: إن قيام الدعوة إلى الله لإصلاح المجتمعات الإسلامية بإصلاح عقائدهم وعبادتهم وأعمالهم وسياستهم أمر لازم لابد منه، ولكن كل هذا لا يعني ما يقوله سيد قطب من أنه لابد من وجود حركة تنشئ الإسلام من فراغ وتنشئه من جديد في مجتمعات جاهلية كافرة على حد قوله: "وهذه الحركة لابد أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء، فيفتن من يفتن، ويرتد من يرتد... إلخ.

فالداعي إلى الله قد يتعرض للابتلاء فيصبر، وقد يصاب بالعجز والفتور ولا يستمر؛ فكيف يحكم عليه سيد بالردة؟!

ماسبب ذلك إلا تكفير سيد للمجتمعات الإسلامية؛ لأنها لا تؤمن بما جاء به سيد قطب من عقائد وتصورات وفهوم غريبة على الإسلام: عقائده، وفقهه، وسياسته.

ويؤكد مرة أخرى ما قرره سابقاً، فيقول:

"إن هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم، ومن ثم لن يطبق فيه النظام الإسلامي، ولن تطبق فيه الأحكام الفقهية الخاصة بهذا النظام... لن تطبق لاستحالة هذا التطبيق الناشئة من أن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية لا يمكن أن تتحرك في فراغ؛ لأنها بطبيعتها لم تنشأ في فراغ، ولم تتحرك في فراغ كذلك!.

إن المجتمع الإسلامي ينشأ بتركيب عضوي آخر غير التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي... ينشأ من أشخاص ومجموعات وفئات جاهدت في وجه الجاهلية لإنشائه، وتحددت أقدارها، وتميزت مقاماتها في ثنايا تلك الحركة.

إنه مجتمع جديد، ومجتمع وليد، ومجتمع متحرك دائماً في طريقه لتحرير الإنسان؛ كل الإنسان... في الأرض؛ كل الأرض... من العبودية لغير الله، ولرفع هذا الإنسان عن ذلة العبودية للطواغيت؛ أيّاً كانت هذه الطواغيت⁽⁴¹⁾.

1) يصرح سيد هنا باستحالة تطبيق الأحكام الفقهية الخاصة بالنظام الإسلامي.

2) يعلل ذلك بأن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية لا يمكن أن تتحرك في فراغ... إلخ.

3) وأن المجتمع الإسلامي ينشأ بتركيب عضوي آخر غير التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي.

4) لأنه ينشأ من أشخاص ومجموعات وفئات جاهدت في وجه الجاهلية لإنشائه... إلخ.

5) ويرى أن هذا المجتمع مجتمع جديد، وليد، متحرك دائماً، لتحرير الإنسان في كل الأرض من ذل العبودية للطواغيت.

والظاهر أنه يريد بالطواغيت الحكام فحسب، أما شرك القبور؛ فلا يمكن أن يدور بخلده، وأما عبادة الأوثان؛ فما هي إلا أمور ساذجة، ويمكن مؤاخاة أهلها وموادتهم إذا لم يحاربونا، ولو كانوا مجوساً وشيوعيين ونصارى وغيرهم⁽⁴²⁾.

ويؤكد ماسبق من أحكام بعيدة عن العدل والرحمة، فيقول:

"وكذلك من يدرينا أن المجتمع المسلم المتحرك المجاهد سيكون في حاجة إلى تحديد النسل مثلاً؟! وهكذا... وإذا كنا لا نملك افتراض أصل حاجات المجتمع حين يكون مسلماً، ولا حجم هذه الحاجات أو شكلها، بسبب اختلاف تركيبه العضوي عن تركيب المجتمع الجاهلي، واختلاف تصوراته ومشاعره وقيمه وموازينه... فما هذا الضنى في محاولة

(41) "في ظلال القرآن" (4/2009 - 2010).

(42) سيأتي توضيح ما قلناه فيما بعد إن شاء الله.

تحويل وتطوير وتغيير الأحكام المدونة؛ لكي تطابق حاجات هي في ضمير الغيب، شأنها شأن وجود المجتمع المسلم".

ويقول:

"إن نقطة البدء في المتاهة - كما قلنا - هي افتراض أن هذه المجتمعات القائمة هي المجتمعات الإسلامية، وأنه سيجاء بأحكام الفقه الإسلامي في الأوراق لتطبق عليها، وهي بهذا التركيب العضوي ذاته، وبالتصورات والمشاعر والقيم والموازن ذاتها... كما أن أصل المحنة هو الشعور بأن واقع هذه المجتمعات الجاهلية وتركيبها الحاضر هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه، وأن يحور ويطور ويغير في أحكامه ليلاحق حاجات هذه المجتمعات ومشكلاتها المنبثقة أصلاً من مخالفتها للإسلام ومن خروج حياتها جملة من إطاره"⁽⁴³⁾.

وعلى هذا المقطع من الملاحظات ما يأتي:

- 1) يبدو أن سيداً يرى جواز تحديد النسل!.
- 2) يرى أن المجتمع المسلم لا يزال في ضمير الغيب، وهذا عين التكفير للمجتمعات الإسلامية، وقد عرفت على أي أساس يكفر هذه المجتمعات.
- 3) وأن هذه المجتمعات كافرة، وأن افتراض أنها إسلامية: دخول في متاهة.
- 4) وأننا لا نملك افتراض أصل حاجات هذا المجتمع؛ لأنه لا علاقة له بالإسلام؛ بسبب اختلاف تركيبه العضوي عن المجتمع الإسلامي الذي يصلح فيه تطبيق الإسلام ويمكن أن نعرف حاجاته ومتطلباته؛ فهذا المجتمع لا يزال في ضمير الغيب.

شهادات على سيد قطب وأتباعه بتكفير المسلمين:

- 1 - شهادة القرضاوي على سيد قطب وكتبه بالتكفير:

قال القرضاوي في كتابه "أولويات الحركة الإسلامية"⁽⁴⁴⁾:

"في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيد قطب، التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي بفكرة تجديد

⁽⁴³⁾ "في ظلال القرآن" (4/2011).

⁽⁴⁴⁾ (ص 110).

الفقه وتطويره، وإحياء الاجتهاد، وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة، والإزراء بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية، ويتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير "في ظلال القرآن" في طبعته الثانية، وفي "معالم في الطريق"، ومعظمه مقتبس من الضلال، وفي "الإسلام ومشكلات الحضارة"، وغيرها، وهذه الكتب كان لها فضلها وتأثيرها الإيجابي الكبير؛ كما كان لها تأثيرها السلبي⁽⁴⁵⁾.

وقد قاوم هذا الفكر الأستاذ الهضيبي وآخرون في أبحاث أشرف عليها الهضيبي في كتاب "دعاة لا قضاة".

وقاومه الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه "التفسير السياسي".

وقاومه العلامة المحدث ناصر الدين الألباني، وكثير من علماء المسلمين.

نسأل الله أن يبصر الأمة وشبابها بالحق في كل ميادين الإسلام، وأن يجنبهم الغلو والباطل في كل مجال.

2 - شهادة فريد عبد الخالق (أحد كبار الإخوان المسلمين) على سيد قطب وأتباعه بأنهم يكفرون المسلمين:

قال في كتابه "الإخوان المسلمون في ميزان الحق"⁽⁴⁶⁾: "ألمعنا فيما سبق إلى أن نشأة فكر التكفير بدأت بين شباب بعض الإخوان في سجن القناطر في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، وأنهم تأثروا بكفر الشهيد سيد قطب وكتابات، وأخذوا منها أن المجتمع في جاهلية، وأنه قد كفر حكامه الذين تنكروا لحاكمية الله بعدم الحكم بما أنزل الله، ومحكوميه إذا رضوا بذلك"⁽⁴⁷⁾ اهـ.

ويقول فريد عبد الخالق:

"إن أصحاب هذا الفكر وإن تعددت جماعاتهم، يعتقدون بكفر المجتمعات الإسلامية القائمة، وجاهليتها جاهلية الكفار، قبل أن يدخلوا في الإسلام في عهد الرسول

⁽⁴⁵⁾ نأسف لمثل هذا المنهج؛ أعني: منهج الموازنات بين الحسنات والسيئات، الحائد عن منهج الإسلام الذي ضيع شباب الأمة، وقذف في قلوبهم حب البدع وأهلها، ولا سيما مذهب الخوارج في تكفير الأمة، وهون من شأن الرفض والتصوف الغالي، بما فيه وحدة الوجود، فمتى يستيقظ المؤمنون لمثل هذه الحيل.

⁽⁴⁶⁾ ص (115).

⁽⁴⁷⁾ ص (115).

E، ورتبوا الأحكام الشرعية بالنسبة لهم على هذا الأساس، وحددوا علاقتهم مع أفراد هذه المجتمعات طبقاً لذلك، وقد حكموا بكفر المجتمع لأنه لا يطبق شرع الله، ولا يلتزم بأوامره ونواهيه، ومنهم من قال بعدم كفر مخالفيتهم ظاهرياً، وقالوا بنظرية (المفاصلة الشعورية)، فأجاز هذا الفريق الصلاة خلف الإمام الذي يؤم المصلين المسلمين في سجودهم ومتابعته في الحركات دون النية، وقالوا بعدم تكفير زوجاتهم، وأجلوا كفرهم⁽⁴⁸⁾ على أساس نظرية (مرحلية الأحكام)، وأنهم في عصر الاستضعاف - أي: العهد المكي - بأحكامه التي نزلت إبانها، فلا تحرم المشركات ولا الذبائح ولا تجب صلاة الجمعة ولا العيدين ولا يجوز الجهاد، ويكفرون من لم يؤمن بفكرهم، وأخذوا ببعض أساليب الباطنية في (التقية)، ألا يذكروا أسرار معتقداتهم لغيرهم، ويظهرونها لخواصهم وأتباع فكرهم، وذلك عندهم ضرورة حركية.

وطائفة تمسكت بالمفاصلة الصريحة، وكفرت مخالفيتهم ومن كان معهم، ومنهم جماعة الإخوان المسلمين، ومرشدهم، وآباؤهم، وأمهاتهم، وزوجاتهم، وهم جماعة (التكفير والهجرة)، الذين يسمون أنفسهم (جماعة المؤمنين)⁽⁴⁹⁾.

3 - شهادة علي جريشة (وهو من كبار الإخوان المسلمين):

قال بعد أن تحدث عن غلو الخوارج وتكفيرهم لعلي وأصحابه:

"وفي الحديث انشقت مجموعة على جماعة إسلامية كبيرة إبان وجودهم في السجون... ومع ذلك لجأت تلك المجموعة إلى تكفير الجماعة الكبيرة؛ لأنها لا تزال على رأيها في تكفير الحاكم وأعوان الحاكم ثم المجتمع كله، ثم انشقت المجموعة المذكورة إلى مجموعات كثيرة، كل منها يكفر الآخر"⁽⁵⁰⁾.

كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية في سياق حديثه عن الحكم بغير ما أنزل الله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وقال: [وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ]⁽⁵¹⁾، ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين

(48) لعله أراد: "نكاحهم".

(49) (ص 118).

(50) راجع كتابه "الاتجاهات الفكرية المعاصرة" (ص 279).

(51) المائدة: 44.

الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله؛ فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم يزلها الله، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر؛ فإن كثيراً من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم، التي يأمر بها المطاعون؛ فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله؛ فهم كفار، وإلا كانوا جهالاً كمن تقدم أمره، وقد أمر الله المسلمين كلهم إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى الله والرسول، فقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] ⁽⁵²⁾، وقال تعالى: [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] ⁽⁵³⁾.

فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم؛ فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطناً وظاهراً، لكن عصى واتبع هواه؛ فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة، وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاية الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله، وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هاهنا، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية، والمقصود أن الحكم بالعدل واجب مطلقاً في كل زمان ومكان على كل أحد، ولكل أحد، والحكم بما أنزل الله على محمد ﷺ هو عدل خاص، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبي ﷺ وكل من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله؛ فهو كافر، وهذا واجب على الأمة، في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية ⁽⁵⁴⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معنى قوله تعالى: [اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ] ⁽⁵⁵⁾.

⁽⁵²⁾ النساء: 59.

⁽⁵³⁾ النساء: 65.

⁽⁵⁴⁾ "منهاج السنة" (32/3 - نشر مكتبة الرياض الحديثة).

⁽⁵⁵⁾ التوبة: 31.

"وهؤلاء الذين اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً، حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله؛ اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف للدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما الطاعة في المعروف".

ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام إن كان مجتهداً قصده اتباع الرسل، لكن خفي عليه الحق في نفس الأمر، وقد اتقى الله ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذ الله بخطئه، بل يشبهه على اجتهاده الذي أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ﷺ، ثم اتبعه على خطئه، وعدل عن قول الرسول ﷺ؛ فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله، لا سيما إن اتبع ذلك هواه ونصره باليد واللسان، مع علمه أنه مخالف للرسول ﷺ؛ فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه" (56).

(56) انظر كتاب الإيمان ص 67 - 68 نشر المكتب الإسلامي، و"فتح المجيد" (ص 111 - المكتبة التجارية).

نظرة سيد قطب إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

تلخيص

الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي

من كتاب العدالة الاجتماعية لسيد قطب الطبعة الحادية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه باطناً وظاهراً ووالى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً وذبّ عنهم ابتغاء رضاه .

أما بعد :

فإن لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منزلة عظيمة ومكانة رفيعة قرّرها الله تبارك وتعالى في كتبه التي أنزلها الله لهداية البشر وعلى ألسنة رسله الذين كلّفوا بتبليغ تلك الرسائل المتضمنة لهذه الهداية .

قال الله : { محمدٌ رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع لغيط بهم الكفّار } [الفتح : 29] .

وقال في حقهم : { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ... } [الحديد : 10] .

وقال تعالى : { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله } [آل عمران : 110] .

وقال تعالى : { وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ... } [سورة البقرة : 143] .

وقال تعالى : { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار ... } [التوبة : 100] .

وأثنى عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم عاطر الثناء؛ فقال صلى الله عليه وسلم : «خير الناس : قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ...» الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم : «لا تسبوا أصحابي؛ فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثلاً أُحْدُ ذهباً ما بَلَغَ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ» .

ولقد وعي أسلافنا الصالحون هذه الحقائق الكبيرة، وهذه المنزلة العظيمة لهؤلاء الأخيار؛ سادة هذه الأمة وقادتها وأئمتها في العلم، والجهاد، والعبادة، والأخلاق، والصدق في كل شأنٍ في الأخبار وتبليغ هذا الدين، والعمل به، والدعوة إليه، والجهاد في نشره وإعلائه على الأديان كلها .

وعى أسلافنا الصالحون هذه الحقائق والمنازل الرفيعة لهؤلاء الأجداد الأكرمين، واستقرّ هذا الوعي في قلوبهم؛ فدانوا به، وربّوا الأمة عليه، وألّفوا في فضائل هؤلاء الصّحب الكرام المؤلفات .

وتلقّى ذلك عنهم الأجيالُ جيلاً بعد جيل، لا يخالفهم في هذا المنهج إلّا من خذله الله، فلم يرفع رأساً بما قرّره القرآن والكتب قبله، ولا بما قرّره الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خيار أُمته .

ولإيماننا بهذه المتزلة الرفيعة لهؤلاء السادة الأخيار سادة الأمة رأينا أن حتماً علينا أن نشيد بفضلهم وبمكائنتهم، وأن نذبّ عن حياضهم، ونحمي أعراضهم، وأن نفديهم بمهجنا وأعراضنا وأموالنا رخيصة لا نخشى في الله لومة لائم .

ونرى أنّ جبههم وولاءهم أصلٌ عظيم من أصول دين الله، وأنّ بغضهم والطعن في دينهم وعدالتهم كفر كما قرّر ذلك علماء الإسلام؛ لأنّ الطعن في دينهم وعدالتهم طعنٌ فيمن بلغنا ديننا قرآنًا وسنة .

فعلى من يحامي عن من طعن فيهم أن يعيَ هذه الحقائق ويحسب لهذا الأمر العظيم ألفَ حساب، وأن يفكر أين يضع قدمه في الإسلام قبل أن يخوض في الدفاع عن من يطعن في هؤلاء المختارين لصحبة أفضل الرسل وتبليغ هذا الدين العظيم .

وعليه أن يدرك خطورة هذا الأمر وصعوبته وعليه أن يرفض التبريرات والتأويلات الباطلة وعلى الأمة جمعاء خاصة شبابها أن يدركوا ذلك .

وفي الصحائف التالية سردٌ أمينٌ لما سجّله سيد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، و «كتب وشخصيات» من طعون لا يطيقها من شَم رائحة الإسلام، ولا من في قلبه شيءٌ من الاحترام لهؤلاء الصّحب الكرام .

في كتاب «العدالة» الذي استمرّ مؤلفه في طبعه والاعتداد به إلى أن مات، واستمرّ أولياؤه وأنصاره في نشره بدون أيّ مبالاة إلى يومنا هذا؛ فأين المسلمون؟، وكيف ينامون تجاه هذا الهوان الذي نزل بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منذ ألف هذا الكتاب من قبل خمسين عاماً إلى يومنا هذا؟، وأين شباب الإسلام بوجهٍ خاص وأخص .

كيف تحمى الأنوف لمن يهين كرامة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحمى تلك الأنوف لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟!! .

أيا معشر المسلمين والعلماء وطلّاب العلم وشباباً كيف يستمرّ هذا المنكر الفظيع عقوداً من السنين، يروّجُ له في أوساطكم بكل هدوء وطمأنينة، ويحاط مرتكبُه بالإجلال والتعظيم والتفخيم ؟؟؟ .

اللهم إني أتقربُ إليك بحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والغيرة الإسلامية لهم،
وأتقربُ إليك بالبراءة ممن يطعنُ فيهم، واغفر لي التقصير في حقك وحقهم، ووفق المسلمين
للقيام بحقوقك وحقوقهم . إنك سميعٌ بصير، وعلى كلِّ شيءٍ قدير .

إساءات عديدة وجهها سيّد قطب ضد عثمان منها ما يتعلّق بشخصيّته
ومنها ما يطعن في عدالته وحكمه كإغداق الأموال والولايات على أقاربه
وكلّها باطلة ظالمة

قال سيّد قطب في كتابه "العدالة الاجتماعيّة" [ص159]: "هذا التّصوّر لحقيقة الحكم قد تغيّر شيئاً ما دون شكّ على عهد عثمان - وإن بقي في سياق الإسلام - لقد أدركت الخلافة عثمان وهو شيخ كبير. ومن ورائه مروان بن الحكم يصرف الأمر بكثير من الانحراف عن الإسلام. كما أنّ طبيعة عثمان الرّخيّة، وحده الشّديد على أهله، قد ساهم كلاهما في صدور تصرّفات أنكرها الكثيرون من الصّحابة من حوله، وكانت لها معقبات كثيرة، وآثار في الفتنة التي عانى الإسلام منها كثيراً.

منح عثمان من بيت المال زوج ابنته الحارث بن الحكم يوم عرسه مئتي ألف درهم. فلمّا أصبح الصّباح جاءه زيد بن أرقم خازن مال المسلمين، وقد بدا في وجهه الحزن وترقرقت في عينه الدّموع، فسأله أن يعفيه من عمله؛ ولما علم منه السّبب وعرف أنّه عطيته لصهره من مال المسلمين، قال مستغرباً: "أتبكي يا ابن أرقم أن وصلت رحمي؟" فردّ الرجل الذي يستشعر روح الإسلام المرهف: "لا يا أمير المؤمنين. ولكن أبكي لأنّي أظنّك أخذت هذا المال عوضاً عمّا كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله. والله لو أعطيته مئة درهم لكان كثيراً!" فغضب عثمان على الرّجل الذي لا يطيق ضميره هذه التّوسعة من مال المسلمين على أقارب خليفة المسلمين وقال له: "ألقي المفاتيح يا ابن أرقم فإنّا سنجد غيرك!"

والأمثلة كثيرة في سيرة عثمان على هذه التّوسعات؛ فقد منح الزّبير ذات يوم ستمائة ألف، ومنح طلحة مائتي ألف، ونقل مروان بن الحكم خمس خراج إفريقية. ولقد عاتبه في ذلك ناس من الصّحابة على رأسهم علي بن أبي طالب، فأجاب: "إنّ لي قرابة ورحماً" فأنكروا عليه وسألوه: "فما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟" فقال: "إنّ أبا بكر وعمر كان يحسبان في منع قرابتهما، وأنا أحسب في إعطاء قرابتي" فقاموا عنه غاضبين يقولون: "فهديهما والله أحب إلينا من هديك"

وغير المال كانت الولايات تغدق على الولاة من قرابة عثمان. وفيهم معاوية الذي وسع عليه في الملك فضمّ إليه فلسطين وحمص؛ وجمع له قيادة الأجناد الأربعة ومهد له بعد

ذلك أن يطلب الملك في خلافة علي وقد جمع المال والأجناد. وفيهم الحكم بن العاص
طريد رسول الله الذي آواه عثمان وجعل ابنه مروان بن الحكم وزيره المتصرف. وفيهم
عبد الله بن سعد بن أبي السرح أخوه من الرضاعة... الخ" اهـ كلامه.
ونقول: إنه لا يثبت شيء من هذه الدعاوى الظالمة.

الثورة على عثمان فورة من روح الإسلام ويلعب به مروان

وصار عثمان سيقه لمروان يسوقه حيث شاء

وقال أيضاً في [ص160 - 161]: "وأخيراً ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق والباطل، والخير والشر. ولكن لا بد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام، أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام؛ وذلك دون إغفال لما كان وراءها من كيد اليهودي ابن سبأ عليه لعنة الله!

واعتذارنا لعثمان رضي الله عنه: أن الخلافة قد جاءت إليه متأخرة، فكانت العصبية الأموية حوله وهو يدلف إلى الثمانين، فكان موقفه كما وصفه صاحبه علي بن أبي طالب: "إني إن قعدت في بيتي قال: تركتني وقرايتي وحقي؛ وإن تكلمت فجاء ما يريد، يلعب به مروان، فصار سيقه له يسوقه حيث شاء، بعد كبر سنّه وصحبته لرسول الله ﷺ" اهـ

هؤلاء الثوار الذين يمدحهم سيد قطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أنهم منافقون فبكلام من نأخذ؟

اتهام عثمان بأنه باكر الدين الناشئ بالتمكين منه للعصبة الأموية

وقال أيضاً [ص:161]: [[ولقد كان من جراء مباركة الدين الناشئ بالتمكين منه للعصبة الأموية على يدي الخليفة الثالث في كبرته، أن تقاليد العملية لم تتأصل على أسس من تعاليمه النظرية لفترة أطول.

وقد نشأ عن عهد عثمان الطويل في الخلافة أن تنمو السلطة الأموية ويستفحل أمرها في الشام وفي غير الشام؛ وأن تتضخم الثروات نتيجة لسياسة عثمان [كما سيجيء] وأن تخلخل الثورة على عثمان بناء الأمة الإسلامية في وقت مبكر شديد التبكير. ومع كل ما يحمله تاريخ هذه الفترة وأحداثها من أعجاد لهذا الدين، تكشف عن نقلة بعيدة جداً في تصوّر الناس للحياة والحكم، وحقوق الأمراء وحقوق الرعية، إلا أن الفتنة التي وقعت لا يمكن التقليل من خطرها وآثارها البعيدة المدى]].

قال سيد قطب[ص:161]:

[[مضى عثمان إلى رحمة ربه، وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكن لها في الأرض، وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام، من إقامة الملك الوراثي والاستئثار بالمغانم والأموال والمنافع، مما أحدث خلخلة في الروح الإسلامي العام. وليس بالقليل ما يشيع في نفس الرعية — إن حقاً وإن باطلاً — أن الخليفة يؤثر أهله، ويمنحهم مئات الألوف ؛

ويعزل أصحاب رسول الله ليولي أعداء رسول الله ؛ ويعد مثل أبي ذر لأنه أنكر كنز الأموال، وأنكر الترف الذي يحب فيه الأثرياء، ودعا إلى مثل ما كان يدعو إليه الرسول — ρ — من الإنفاق والبر والتعفف.. فإن النتيجة الطبيعية لشيوع مثل هذه الأفكار، إن حقاً وإن باطلاً، أن تثور النفوس، وأن تنحل نفوس.

تثور الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأنساً، وتنحل نفوس الذين لبسوا الإسلام رداء، ولم تخالط بشاشته قلوبهم، والذين تجرفهم مطامع الدنيا، ويرون الانحدار مع التيار. وهذا كله قد كان في أواخر عهد عثمان]].

غلوه في علي وتصديقه لروايات سخيقة وزعمه أن عليا يرد للحكم صورته كما

صاغها النبي p والخليفين بعده، أي أن عثمان هدم أو شوه صورة الحكم

قال سيد قطب[ص:161-162]:

[[جاء علي - كرم الله وجهه - لم يكن من اليسر أن يرد الأمر إلى نصابه في هواده وقد علم المستنفعون على عهد عثمان وبخاصة من أمية أن عليا لن يسكت عليهم فانحازوا بطبيعتهم إلى معاوية وبمصلحتهم إلى معاوية جاء علي ليرد التصور الإسلامي للحكم إلى نفوس الحكام ونفوس الناس. جاء ليأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها، ويختتم هو على جراب الشعير ويقول :

[[لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم]]. وربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء والطعام، وكره أن ينزل القصر الأبيض بالكوفة مؤثراً عليه الخصاص التي يسكنها الفقراء. جاء ليعيش كما روى عنه النضر ابن منصور عن عقبة بن علقمة قال:

دخلت على علي عليه السلام، فإذا بين يديه لبن حامض، آذنتي حموضته، وكسر يابسة. فقلت: [[يا أمير المؤمنين ! أتأكل مثل هذا ؟ فقال لي : يا أبا الجنوب ! كان رسول الله يأكل أيس من هذا ويلبس أحشن من هذا - وأشار إلى ثيابه - فإن لم آخذ بما آخذ به خفت أن لا ألحق به]]. أو كما روى عنه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بالخور نق، وهو فصل شتاء وعليه خلق قطيفة، وهو يرعد فيه. فقلت يا أمير المؤمنين ! إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك ؟ فقال: [[والله ما أرزؤكم شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة]].

وما يصنع عليّ هذا بنفسه وأهله، وهو يجهل أن الدين يبيح له فوق ما يصنع، وأنه لا يحتم التزهد والحرمان والشظف، وأن حظّه من بيت المال في ذلك الحين كفرد من المسلمين يبلغ أضعاف ما يأخذ، وأن راتبه كأمر المؤمنين يؤدي خدمة عامة، أكبر من هذا لو شاء أن يأخذ مثلما خصصه عمر لبعض ولاته على الأقاليم، إذ قدر لعمار بن ياسر حين ولاه الكوفة ستمائة درهم في الشهر له ولمساعدته، يزداد عليها عطاؤه الذي يوزع عليه كما توزع الأعطية على نظرائه، ونصف شاة ونصف جريب من الدقيق ؛ كما قدر لعبد الله بن مسعود مئة درهم وربع شاة لتعليمه الناس بالكوفة وقيامه على بيت المال فيها،

ولعثمان ابن حنيف مائة وخمسين درهماً وربع شاة في اليوم مع عطائه السنوي وهو خمسة آلاف درهم...

ما يصنع عليّ بنفسه ما صنع وهو يجهل هذا كله. إنما كان يعلم أن الحاكم مظنة وقدوة. مظنة التبجح بالمال العام إذ كان تحت سلطانه؛ وقدوة الولاة والرعيّة في التحرج والتعفف. فأخذ نفسه بعزائم أبي بكر وعمر في هذا الأمر. فالأفق الأعلى كان هو الأخرى بخلفاء رسول الله على دين الله.

وسار عليّ - كرم الله وجهه - في طريقه يرد للحكم صورته كما صاغها النبي ρ والخليفان بعده...

انظر إلى هذه العقلية التي تقبل هذه الخرافات الرافضية وإلى تعليقه عليها مؤيداً لها وهي تصور علياً مع الأسف في صورة راهب غال أو صوفي محترق لقد كان لعلي الأموال والأراضي الكثيرة والزوجات والسراري والأولاد والخدم والحشم في كفره من اخوانه من أغنياء الصحابة لم يخرجوا عن حدود ما أباحه الله لهم

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . (وراجع كتاب مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم).

خطبة كُذبت على علي - رضي الله عنه - فيها مصادرات لكل أعطيات عثمان وفيها رمي للناس بأنهم نفعيون ودعوى لعلي أنه يرد للدين روحه التي ذهبت في عهد عثمان

قال سيد قطب [ص: 163-164]:

[[ولقد كان منهاجه الذي شرعه هو ما قاله في خطبته عقب البيعة له:

"أيها الناس. إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم، وعلي ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكم ومنفذ فيكم ما أمرت به.. ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. فإن الحق لا يطله شيء. ولو وجدته قد تزوج به النساء، وملك الإمام، وفرق في البلدان لردته. فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق.

أيها الناس.. ألا لا يقولن رجال منكم غداً - قد غمرتم الدنيا فامتلكوا العقار وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة - إذا ما منعتم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتم إلى الحقوق التي يعلمون: [[حرماً ابن أبي طالب حقوقنا]]. ألا وأما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته، فإن الفضل غداً عند الله وثوابه وأجره على الله. ألا وأما رجل استجاب لله ولرسوله، فصدق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء".

ولقد كان من الطبيعي ألا يرضى المستنفعون عن علي، وألا يقنع بشرعة المساواة من اعتادوا التفضيل، ومن مردوا على الاستئثار. فانحاز هؤلاء في النهاية إلى المعسكر الآخر: معسكر أمية، حيث يجدون فيه تحقيقاً لأطماعهم، على حساب العدل والحق اللذين يصرون عليهما علي - رضي الله عنه - هذا الإصرار!

والذين يرون في معاوية دهاء وبراعة لا يرونها في علي، ويعززون إليهما غلبة معاوية في النهاية، إنما يخطئون تقدير الظروف، كما يخطئون فهم علي وواجبه. لقد كان واجب علي الأول والأخير، أن يرد للتقاليد الإسلامية قوتها، وأن يرد إلى الدين روحه، وأن يجلو

الغاشية التي غشت هذا الروح على أيدي بني أمية في كبرة عثمان. ولو جرى وسائل بني أمية في المعركة لبطلت مهمته الحقيقية؛ ولما مان لظفره بالخلافة خالصة من قيمة في حياة هذا الدين. إن علياً إما أن يكون علياً أو فلتذهب الخلافة عنه، بل فلتذهب حياته معها. وهذا هو الفهم الصحيح الذي لم يغب عنه - كرم الله وجهه - وهو يقول - فيما روي عنه إن صحت الرواية - : [[والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر. ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس]].

حديث ظالم عن عهد بني أمية وبني العباس على طريقة الروافض والخوارج

وقال ص 164 — 165 :

((ومضى علي إلى رحمة ربه وجاء بنو أمية.

فلان كان إيمان عثمان وورعه ورقته، كانت تقف حاجزاً أمام بني أمية.. لقد انهار هذا الحاجز.. وانفتح الطريق للانحراف.

لقد اتسعت رقعة الإسلام فيما بعد، ولكن روحه انحسرت بلا جدال. ولولا قوة كامنة في طبيعة هذا الدين، وفيض عارم في طاقته الروحية، لكانت أيام أمية كفيلة بتغيير مجراه الأصيل. ولكن روحه ظلت تقاوم وتغالب وما تزال فيها الطاقة الكامنة للغلب والانتصار. غير أنه منذ أمية انساحت حدود بيت مال المسلمين، فصار نهياً مباحاً للملوك والحاشية والمتملقين، وتخلخت قواعد العدل الإسلامي الصارم، فأصبح للطبقة الحاكمة امتيازات ولأذialها منافع ولحاشيتها رسوم، وانقلبت الخلافة ملكاً وملكاً عضوضاً، كما قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في وثبة من وثبات الاستشفاف الروحي العميق .

وعدنا نسمع عن الهبات للمتملقين والملهين والمطربين، فيهب أحد ملوك أمية اثني عشر ألف دينار لمعبد، ويهب هارون الرشيد — من ملوك العباسيين — إسماعيل بن جامع المغني في صوت واحد أربعة آلاف دينار، ومترلاً نفيس الأثاث والرياش.. وتنطلق الموجة في طريقها لا تقف إلا فترة بين الحين والحين.

ولا بد أن نذكر هنا عهد عمر بن عبد العزيز — رضي الله عنه — فقد كان بقية من عهد الخلافة، وإشعاعة مضيئة تنير الطريق. لقد بدأ عهده برد الحكم المغصوب إلى صاحب الحق الأول فيه: إلى الأمة المسلمة، التي يجب أن تختار إمامها حرة طائعة مختارة، لا بقوة الجند، ولا بسلطان الوراثة... صعد المنبر فقال :

" أيها الناس. إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبه له، ولا مشورة من المسلمين. وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاخترتوا لأنفسكم " فصاح الناس قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا بك، فل الأمر باليمن والبركة.

وبذلك رد الأمر إلى نصابه في ولاية الأمر، فلا ولاية بغير شورى ورضى وقبول.

عندئذٍ خطب الناس فقال : "أيها الناس . إنه قد كان قبلي ولاة تجترون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم. ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم..".

وحينما باشر سلطته بدأ برد المظالم، مبتدئاً بنفسه)).
ثم ساق روايات لا تثبت ومنشئوها والله أعلم الروافض.

قال سيد في ص 167 — 168)) (وإذا كنا لا نؤرخ هنا للدولة الإسلامية، ولكن الروح الإسلامي في الحكم، فإننا نكتفي في إبراز مظاهر التحول والانحسار بإثبات ثلاث خطب من عهد الملوك. وبموازنتها بالخطب الثلاث التي سبقت في عهد الخلفاء يتبين الفارق العميق.

خطب معاوية في أهل الكوفة بعد الصلح فقال : " يا أهل الكوفة ! أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلون، وتزكون وتحجون ؟ ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك، وأنتم كارهون. ألا إن كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطته، فتحت قدمي هاتين ".
وخطب كذلك في أهل المدينة فقال :

" أما بعد، فإنني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولايتي. ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة. ولقد رضت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت نفاراً شديداً، وأردتها على سنيات عثمان، فأبت على، فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة، مؤكلة حسنة، ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم، فإنني خير لكم ولاية... "

وخطب المنصور العباسي — وقد فعلت الموجه الأموية فعلها في تصور الحكم حتى انتهت به أيام العباسيين إلى نظرية الحق الإلهي المقدس التي لا يعرفها الإسلام فقال : " أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوقيقه وتأييده، وحارسه على ماله، أعمل فيه بمشيئته وإرادته، وأعطيه بإذنه فقد جعلني الله عليه قفلاً، إن شاء أن يفتحني فتحتني لإعطائكم وقسم أرزاقكم، وإن شاء أن يقفلي عليه أقفلي " !

وبذلك خرجت سياسة الحكم نهائياً من دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام.

فأما سياسة المال فكانت تبعاً لسياسة الحكم، وفرعاً عن تصور الحكام لطبيعة الحكم وطريقته، ولحق الراعي والرعية. فأما في حياة محمد — صلى الله عليه وسلم — وصاحبيه وفي خلافة علي بن أبي طالب، فكانت النظرة السائدة هي النظرة الإسلامية : وهي أن المال العام مال الجماعة، ولا حق للحاكم بنفسه أو بقرابته أن يأخذ منه شيئاً إلا بحقه، ولا أن يعطي أحداً منه إلا بقدر ما يستحق، شأنه شأن الآخرين. وأما حين انحرف هذا التصور

قليلاً في عهد عثمان، فقد بقيت للناس حقوقهم، وفهم الخليفة أنه في حل — وقد اتسع المال عن المقررات للناس — أن يطلق فيه يده وير أهله ومن يرى من غيرهم حسب تقديره.

وأما حين صار الحكم إلى الملك العضوض فقد انهارت الحدود والقيود، وأصبح الحاكم مطلق اليد في المنع والمنح، بالحق في أحيان قليلة وبالباطل في سائر الأحيان. واتسع مال المسلمين لترفع الحكام وأبنائهم وحاشيتهم ومماليقهم إلى غير حد، وخرج الحكام بذلك نهائياً من كل حدود الإسلام في المال).

غلوه في علي وإسقاطه لخلافة عثمان وأنها كانت فجوة بين الخليفين قبله

وعلي بعده :

قال سيد في (ص 172 — 173) :

((هما رأيان إذن في تقسيم المال. رأي أبي بكر ورأي عمر. وقد كان لرأي عمر — رضي الله عنه — سنده : " لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه " " فالرجل وبلاؤه في الإسلام.... " ولهذا الرأي أصل في الإسلام وهو التعادل بين الجهد والجزاء وكان لرأي أبي بكر — رضي الله عنه — سنده كذلك : " إنما أسلموا لله وعليه أجرهم، يوفيههم ذلك يوم القيامة، وإنما هذه الدنيا بلاغ " ولكننا لا نتردد في اختيار رأي أبي بكر إذ كان أقمن أن يحقق المساواة بين المسلمين — وهي أصل كبير من أصول هذا الدين — وأحرى أن لا ينتج النتائج الخطرة التي نتجت عن هذا التفاوت، من تضخم ثروات فريق من الناس، وتزايد هذا التضخم عاماً بعد عام بالاستثمار — والمعروف اقتصادياً أن زيادة الربح تتناسب إلى حد بعيد مع زيادة رأس المال — هذه النتائج التي رآها عمر في آخر أيام حياته، فآلى لئن جاء عليه العام ليسوين في الأعطيات، وقال قولته المشهورة : " لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء " !

ولكن وأسفاه ! لقد فات الأوان، وسبقت الأيام عمر، ووقعت النتائج المؤلمة التي أودت بالتوازن في المجتمع الإسلامي، كما أدت فيما بعد إلى الفتنة، بما أضيف إليها من تصرف مروان وإقرار عثمان !

رجع عمر عن رأيه في التفرقة بين المسلمين في العطاء، حينما رأى نتائج الخطورة، إلى رأي أبي بكر. وكذلك جاء رأي علي مطابقاً لرأي الخليفة الأول — ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي — رضي الله عنه — امتداداً طبيعياً لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان الذي تحكم فيه مروان كان فجوة بينهما — لذلك نتابع الحديث عن عهد علي ثم نعود للحديث عن الحالة في أيام عثمان.

اختار علي مبدأ المساواة في العطاء، وقد نص عليه في خطبته الأولى حيث قال : " ألا وأما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه

بصحبه، فإن الفضل غدأ عند الله، وثوابه وأجره على الله. ألا وأيما رجل استجاب لله ولسوله، فصدق ملتنا، ودخل ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء".

هذا هو المبدأ الإسلامي السليم الذي يتفق مع روح المساواة الإسلامية، ويكفل للمجتمع الإسلامي التوازن، فلا يدع الثروات تتضخم إلا بقدر الجهد والعمل وحدهما، لا بفضل إتاحة فرصة لا تتاح للآخرين، بوجود وفر من المال للعمل فيه أكبر مما لدى الآخرين.

وقد كان عمر آخر أيامه على أن يفيء إلى هذا المبدأ، ولكنه عوجل فاستشهد ولم ينفذ عزمته التي اعتزم، بل عزمته : عزمته في أن يأخذ فضول أموال الأغنياء فيردها على الفقراء، إذ كانت هذه الفضول قد نشأت — في الأغلب — من تفريقه في العطاء، وعزمته في أن يسوي بينهم في العطاء فلا تعود هذه الفوارق إلى الظهور كما ظهرت، ولا يختل المجتمع الإسلامي كما بدأ يختل)).

طعنه في عثمان وافتراؤه عليه من منطلق اشتراكي وطعنه في سادة قريش :

قال في (ص: 173)

((وجاء عثمان — رضي الله عنه — فلم ير أن يأخذ بالعزيمتين أو إحداهما... ترك الفضول لأصحابها فلم يردّها، وترك الأعطيات كذلك على تفاوتها. ولكن هذا لم يكن كل ما كان. بل وسع أولاً على الناس في العطاء فازداد الغني غنى، وربما تبجح الفقير قليلاً، ثم جعل يمنح المنح الضخمة لمن لا تنقصهم الثروة، ثم أباح لقريش أن تضرب في الأرض تتاجر بأموالها المكدسة، فتزيدها أضعافاً مضاعفة، ثم أباح للأثرياء أن يقتنوا الضياع والدور في السواد وغير السواد، فإذا نوع من الفوارق المالية الضخمة يسود المجتمع الإسلامي في نهاية عهده يرحمه الله.

كان أبو بكر وكان عمر من بعده يتشدّدان في إمساك الجماعة من رؤوس قريش بالمدينة، لا يدعونهم يضربون في الأرض المفتوحة، احتياطاً لأن تمتد أبصار هؤلاء الرؤوس إلى المال والسلطان، حين تجتمع إليهم الأنصار بحكم قرابتهم من رسول الله، أو بحكم بلائهم في الإسلام وسابقتهم في الجهاد. وما كان في هذا افتيات على الحرية الشخصية كما يفهمها الإسلام، فهذه الحرية محدودة بمصلحة الجماعة والنصح لها. فلما جاء عثمان أباح لهم أن يضربوا في الأرض. ولم ييح لهم هذا وحده بل يسر لهم وحضهم على توظيف أموالهم في الدور والضياع في الأقاليم، بعد ما آتى بعضهم من الهبات مئات الآلاف. لقد كان ذلك كله براً ورحمة بالمسلمين وبكبارهم خاصة. ولكنه أنشأ خطراً عظيماً لم يكن خافياً على فطنة أبي بكر، وفطنة عمر بعده. أنشأ الفوارق المالية والاجتماعية الضخمة في الجماعة الإسلامية، كما أنشأ طبقة تأتيها أرزاقها من كل مكان دون كد ولا تعب، فكان الترف الذي حاربه الإسلام بنصوصه وتوجيهاته، كما حاربه الخليفان قبل عثمان، وحرصاً على ألا يتيحاه)).

مدحه للشوار على عثمان وافتراؤه على أبي ذر أنه منهم وسرد خطبة ثورية له وطعن في عثمان وبني أمية ومن يسميهم بالمترفين من كبار الصحابة :

قال سيد في (ص : 174 — 175)

((عندئذٍ ثار الروح الإسلامي في نفوس بعض المسلمين، يمثلهم أشدهم حرارة وثورة أبو ذر. ذلك الصحابي الجليل الذي لم تجد هيئة الفتوى المصرية في الزمن الأخير إلا أن تخطئه في اتجاهه، وإلا أن تزعم لنفسها بصراً بالدين أكثر من بصره بدينه ! ثم عادت — في مناسبة أخرى — فأصدرت فتوى بصواب اتجاهه، عندما تغيرت الظروف الأولى ! كأن دين الله سلعة تتجر بها الهيئة في سوق الرغبات.

قام أبو ذر ينكر على المترفين ترفهم الذي لا يعرفه الإسلام، وينكر على معاوية وأميرة خاصة سياستهم التي تقر هذا الترف، وتستزيد منه، وتتمرغ فيه، وينكر على عثمان نفسه أن يهب من بيت المال المئات والألوف، فيزيد في ثراء المثريين وترف المترفين.

علم أن عثمان أعطى مروان بن الحكم خمس خراج إفريقية، والحارث بن الحكم مائتي ألف درهم، وزيد بن ثابت مائة ألف... وما كان ضمير أبي ذر ليطلق شيئاً من ذلك كله. فانطلق يخطب في الناس :

" لقد حدثت أعمال ما أعرفها. والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه. والله إني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير تقى... يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء. وبشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار، تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم... يا كانز المال اعلم أن في المال ثلاثة شركاء : القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم، وأنت الثالث، إن استطعت ألا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن.. إن الله عز وجل يقول : " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون "

" اتخذتم ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألتم الاضطجاع على الصوف الأذري، وكان رسول الله ينام على الحصير، واختلف عليكم بألوان الطعام، وكان رسول الله لا يشبع من خبز الشعير "

وروى مالك بن عبد الله الزيايدي عن أبي ذر : " أنه جاء يستأذن على عثمان بن عفان، فأذن له ويده عصاه. فقال عثمان، يا كعب، إن عبد الرحمن توفي وترك مالاً، فما ترى

فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه. فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً. وقال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : " ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني، أذر خلفي منه ست أواق " أنشدك الله يا عثمان. أسمعته — ثلاث مرات — قال : نعم ."

وما كانت مثل هذه الدعوة ليطيقها معاوية، ولا ليطيقها مروان بن الحكم , فما زال به عند عثمان يحرضانه عليه حتى كان مصيره إلى "الربذة " منفيّاً من الأرض في غير حرب لله ولرسوله، وفي غير سعي في الأرض بالفساد. كما تقول شريعة الإسلام !

يرى سيد قطب أن سياسة عثمان أدت إلى تفريق الجماعة الإسلامية طبقات وإلى تحطيم الأسس التي جاء بها هذا الدين يرافق ذلك طعن في أعيان الصحابة :

قال سيد في (ص : 175 — 176)

((لقد كانت هذه الصيحة يقظة ضمير مسلم لم تخدره الأطماع، أمام تضخم فاحش في الثروات، يفرق الجماعة الإسلامية طبقات، ويحطم الأسس التي جاء هذا الدين ليقمها بين الناس. وبحسبنا أن نعرض هنا نموذجاً للثروات الضخام أورده المسعودي، قال : " في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال : فكان لعثمان يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف إبلًا وخيلًا كثيرة. وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف ألف فرس وألف أمة. وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم. ومن ناحية السراة أكثر من ذلك. وكان على مرتبط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً. وخلف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع، وبنى الزبير دارة بالبصرة. وبنى أيضاً بمصر والكوفة والإسكندرية وكذلك بنى طلحة دارة بالكوفة، وشيد دارة بالمدينة، وبنها بالجص والآجر والساج. وبنى سعد بن أبي وقاص دارة بالعقيق، ورفع سمكها وأوسع فضاءها، وجعل على أعلاها شرفات. وبنى المقداد دارة بالمدينة، وجعلها محبسة الظاهر والباطن. وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقاراً، وغير ذلك ما قيمته ثلاثمائة ألف درهم " .

هذا هو الثراء الذي بدأ صغيراً بإيثار بعض المسلمين على بعض في العطاء في أيام عمر — ذلك الإيثار الذي كان معتزماً بإبطاله وتلافي آثاره لولا أن عاجلته الطعنة التي لم تصب قلب عمر وحده، وإنما أصابت قلب الإسلام — ثم نما وازداد بإبقاء عثمان عليه، فضلاً عن العطايا والهبات والقطائع. ثم فشا فشواً ذريعاً بتجميع الأملاك والضياع وموارد الاستغلال، بما أباحه عثمان من شراء الأرضين في الأقاليم وتضخيم الملكيات في رقعة واسعة، وبمقاومة الصيحة الخالصة العميقة التي انبعثت من قلب أبي ذر، وكانت جذيرة لو بلغت غايتها، ولو وجدت من الإمام استماعاً لها، أن تعدل الأوضاع، وأن تحقق ما أراده

عمر في أواخر أيامه من رد فضول الأغنياء على الفقراء، بما يبيحه له سلطان الإمامة لدفع الضرر عن الأمة، بل بما يحتمه عليه تحقيقاً لمصلحة الجماعة.

حديث ظالم عن عثمان رضي الله عنه وحديث مشوه للعهد الأموي والعباسي يقطر
حقداً وجحوداً لسيادة الإسلام وعزبه وعزة أهله في عهد خير القرون :

قال سيد في : (ص : 175-176)

((وبقدر ما تكدست الثروات وتضخمت في جانب، كان الفقر والبؤس في الجانب الآخر حتماً، وكانت النعمة والسخط كذلك، وما لبث هذا كله أن تجمع وتضخم، لينبعث فتنة هائجة، يستغلها أعداء الإسلام، فتودي في النهاية بعثمان. وتودي معه بأمن الأمة الإسلامية وسلامتها، وتسلمها إلى اضطراب وفوات لم يحب أواره حتى كان قد غشي بدخانها على روح الإسلام، وأسلم الأمة إلى ملك عضوض.

لذلك لم يكن غريباً أن يغضب أصحاب الأموال، والمستنفعون من تفاوت الحظوظ في العطاء، على سياسة المساواة والعدالة التي اعترمها علي بعد عثمان، وأن يتظاهروا بأنهم إنما ينصحون بالعدول عن هذه السياسة خوفاً عليه من الانتقاض، فما كان جوابه إلا أن يستلهم روح الإسلام في ضميره القوي فيقول : " أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ؟ لو كان هذا المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله ؟ إلا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة " .

فأما بنو أمية فقد ساروا في سياسة المال سيرة أخرى. حتى كان عمر بن عبد العزيز فصنع الذي أسلفنا في رد المظالم، وفي الكف عن بعثرة أموال المسلمين في غير حقها، فلم يكن لبني أمية إلا ما لسائر الناس، ولم يكن للمتملقين والملهين نصيب في هذا المال، فقد انقطع عن الشعراء المداح، ولم يجزهم بشيء من بيت المال)).

ثم تكلم عن عهد عمر بن عبد العزيز ثم قال :

((إنما الفقر والحاجة ثمرة التضخم والزيادة. والفقراء في كل وقت هم ضحايا الأغنياء المفحشين والأغنياء المفحشون في الغالب هم نتاج الأعطيات والإقطاعيات والمحابة والظلم والاستغلال !

وفي أيام بني أمية ثم في أيام بني العباس من بعدهم، كان بيت المال مباحاً للملوك كأنه ملك لهم خاص، وذلك على الرغم من وجود بيتين للمال : بيت المال العام، وبيت المال الخاص . والأول مفروض أن موارده ومصارفه للجماعة، والثاني مفروض أن موارده

ومصارفه من خاصة السلطان. لكننا نجد أحياناً أن أموالاً عامة تحمل إلى بيت المال الخاص.
وأن مصارف خاصة تؤخذ من بيت المال العام !

جاء في كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري تأليف آدم ميتز وترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة : " أما العطايا وكل ما يتعلق بنفقات دار الخلافة فكان يؤخذ من بيت المال العام. وعندنا بيان يرجع إلى أول القرن الرابع مشتمل على وجوه الأموال التي تحمل إلى بيت مال الخاصة :

1- الأموال المختلفة التي يتركها الآباء لأبنائهم في بيت المال. ويقال : إن الرشيد خلف أكبر مقدار من المال، وهو ثمانية وأربعون ألف ألف دينار، وكان المعتضد [297 - 289 هـ] يستفضل من كل سنة من سني خلافته بعد النفقات، مما كان يحصله بيت مال الخاصة ألف ألف دينار، حتى اجتمع في بيت المال تسعة آلاف ألف دينار، وكان يريد أن يتممها عشرة آلاف ألف دينار، ثم يسبكها ويجعلها نقرة واحدة، ونذر عند بلوغ ذلك أن يترك عن أهل البلاد ثلث الخراج في تلك السنة. وأراد أن يطرح السبيكة على باب العامة ليلبغ أصحاب الأطراف أن له عشرة آلاف ألف دينار وهو مستغن عنها، فاخترمته المنية قبل بلوغ الأمانة. ثم جاء المكتفي بعد المعتضد [289 - 295 هـ] فأبلغ المدخر إلى أربعة عشر ألف ألف دينار.

2- مال الخراج والضياح العامة الذي يرتفع من أعمال فارس وكرمان [بعد إسقاط النفقات].

ثم واصل هذا التشويه مستفيداً ذلك من كلام آدم ميتز. وهكذا يستقي سيد قطب الطعون في الصحابة والتابعين والعهد الأموي والعباسي ثم يبالغ فيها ويضخمها فلا ندري ماذا أبقى للإسلام والمسلمين من الاعتزاز بتلك العهود ولا سيما القرون المفضلة عهد عزّة الإسلام وعهد الفتوحات العظيمة.

قال سيد قطب في كتابه : [كتب وشخصيات] ص/[242-243] :
[[إن معاوية وزميله عمرًا لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب. ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك على أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح.

على أن غلبة معاوية على علي، كانت لأسباب أكبر من الرجلين : كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه. كان مد الروح الإسلامي العالي قد أخذ ينحسر. وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي علي في القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيار. من هنا كانت هزيمته ، وهي هزيمة أشرف من كل انتصار.

وهنا نصل إلى الملاحظة الرابعة. إذ نرى المؤلف يهش لروح النفعية في السياسة، ويشيد بأصحابها، ولا يعترف بغير النجاح العملي، ولو على أشلاء المثل العليا والأخلاق)). ثم واصل كلامه إلى أن قال:

((لقد كان انتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت روح الإسلام التي لم تتمكن بعد من النفوس. ولو قد قدر لعلي أن ينتصر لكان انتصاره فوزاً لروح الإسلام الحقيقية : الروح الخلقية العادلة المترفعة التي لا تستخدم الأسلحة القذرة في النضال. ولكن هزيم هذه الروح ولما يمض عليها نصف قرن كامل، وقد قضى عليها فلم تقم لها قائمة بعد — إلا سنوات على يد عمر بن عبد العزيز — ثم انطفأ ذلك السراج، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقية.

لقد تكون رقعة الإسلام قد امتدت على يدي معاوية ومن جاء بعده. ولكن روح الإسلام قد تقلصت، وهزمت، بل انطفأت.

فأن يهش إنسان لهزيمة الروح الإسلامية الحقيقية في مهدها، وانطفاء شعلتها بقيام ذلك الملك العضود... فتلك غلطة نفسية وخلقية لا شك فيها.

على أننا لسنا في حاجة يوماً من الأيام أن ندعو الناس إلى خطة معاوية. فهي جزء من طبائع الناس عامة. إنما نحن في حاجة لأن ندعوهم إلى خطة علي، فهي التي تحتاج إلى ارتفاع نفسي يجهد الكثيرون أن ينالوه.

وإذا احتاج جيل لأن يدعى إلى خطة معاوية، فلن يكون هو الجيل الحاضر على وجه العموم. فروح "مكيافيلي" التي سيطرت على معاوية قبل مكيافيلي بقرون، هي التي تسيطر على أهل هذا الجيل، وهم أخبر بها من أن يدعوهم أحد إليها! لأنها روح "النفعية" التي تظلل الأفراد والجماعات والأمم والحكومات!

وبعد فلست شيعياً لأقرر هذا الذي أقول. إنما أنا أنظر إلى المسألة من جانبها الروحي والخلقي، ولن يحتاج الإنسان أن يكون شيعياً لينتصر للخلق الفاضل المترفع عن "الوصولية" الهابطة المتدنية، ولينتصر لعلي على معاوية وعمرو. إنما ذلك انتصار للترفع والنظافة والاستقامة)).

يريد الرجل بعد هذه الطعون التي ينجل منها بل ويحرمها كثير من الشيعة أن يتخلص من قهمة التشيع ولكن من يحترم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يحكم بالرفض الخبيث على من انتقص واحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكيف وهو يحكم على الكثير من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعين بأنهم قد ارتدوا إلى المنحدر الذي انتشلهم منه الإسلام.

تأكيد ما ورد في مقال أطوار سيد قطب في وحدة الوجود ودفع شبه المعترضين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه الأكرمين .

أما بعد :

فقد اطلعتُ على مقالٍ لأحد المشاركين في (شبكة سحاب) عبر الانترنت تَضَمَّن ردًّا على مقالٍ لي انتقدت فيه سيد قطب في قضيتين :

إحداهما : قول سيد بوحدة الوجود، وترداده لها في شعره ونثره، بدأ من عام 1935م إلى نهاية الخمسينيات في «ديوانه» الشعري، وفي كتابه : «كتب وشخصيات»، وفي كتابه : «في ظلال القرآن» .

ولقد مات هذا الرجل وهو يطبع هذه الكتب وينشرها، ويعلن عنها في أغلفة كتبه، ولم يحدّر من كتاب واحد من كتبه التي تَضَمَّنَت هذه العقيدة الإلحادية وغيرها من الضلالات؛ واستمرّ أخوه والإخوان المسلمون ينشرون هذه الكتب ويروجّون لها، ولم يُسمع منهم أي انتقاد لهذا الإلحاد .

والمسألة الثانية : وهي الطعنُ في جلّ الصحابة ومَن عاصرهم من خيار التابعين، وعلى رأسهم : عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد بن الأسود، ومعاوية، وعمر بن العاص — رضي الله عنهم — .

وطعنه هذا كثير، وجراحه عميقة جدًا يدمى لها قلب كل مؤمن صادق الإيمان، وذلك في كتابه المسمى بـ«العدالة الاجتماعية في الإسلام» الذي ظلم فيه الإسلام بتقرير الاشتراكية الماركسية، وحرّف من أجلها نصوص القرآن والسنة، وحرّف قواعد الشريعة الإسلامية مجازاة للشيوعيين والاشتراكيين؛ فترك سيد قطب خصوم الشيوعية والاشتراكية ممن يسموهم بـ(الرأسماليين) المعاصرين، وقفز إلى ما قبل ألف وثلاثمائة وخمسين سنة، إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم — وعلى رأسهم عثمان — يشوههم ويقدح فيهم، يعيد هذا الطعن ويبيديه بأسلوب فيه إهانة لهم ويقطر عليهم حقداً؛ وهو أمرٌ جليٌّ واضح يدركه المسلم والكافر والبر والفاجر والغبي والذكي من الطبعة الأولى لكتاب «العدالة» إلى

آخر الطبعات وهي الثانية عشرة حسب علمي، وكذلك كتاب «كتب وشخصيات» إلى آخر طبعة من طبعاته .

وهؤلاء المروّجون لكتب سيد قطب يدّعون إذا جوهوا بضلالات سيد قطب التي دوّنها في كتبه ومنها هاتان الضاللتان يقولون : أن سيد قطب قد تاب ورجع، ولم يقدموا للناس أيّ دليل على رجوعه . وحتى لو فرضنا أنهم قدموا دليلاً على هذا الرجوع فإنه يلغيه ويجعله حبراً على ورق :

الأول : إصراره وتماديّه في طبع هذه الكتب التي تضمنت ضلالاته الكبرى، ونشره لها بدون مبالاة إلى أن مات .

والثاني : طبع أخيه لهذه الكتب ونشره بعد موت سيد قطب إلى يومنا هذا؛ وهي مدة طويلة تستغرق أربعة وثلاثين عاماً .

وتأييد الإخوان المسلمين ومؤسساتهم بطبعها ونشرها وقيامهم بالترويج لها؛ فهم مشاركون لسيد قطب في تحمّل وزر ومسئولية إذاعة هذه الضلالات الكبرى وبثّها في أوساط المسلمين — ولا سيّما شباب المسلمين — في مشارق الأرض ومغاربها بشتى الطبعات، تتراوح هذه الطبعات ما بين ستّ وعشرين لبعضها كـ«الظلال» ، وإلى خمسة عشر، وإلى تسع طبعات . هذا عدا الترجمات الى بعض اللغات. فهل يجوز نشر هذا الضلال في أوساط شباب مسلمين يريد كثيرٌ منهم الحق فيقع في ضده ألا وهو الباطل لظنه أنه حق، ويرد الحق ويخاصمه ويخاصم أهله لأنه أصبح يرى أن الحق باطلاً .

وبعد هذه المقدمة الموجزة نقول للكاتب الذي قام بهذا الرد والدفاع مذكّرين له بقول الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً } .

فهل قمت بمقتضى هذا التوجيه الرباني في هذه الآية من القيام بالقسط والشهادة لله والعدل ومن اجتناب الهوى ... إلخ .

هل قرأت كتاب «العدالة» فلم تجد فيه إلاّ مدح سيد قطب لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أو على الأقلّ خلوه من الطعن ؟ .

كان من الواجب عليك قبل أن تتورّط في الدفاع عن سيد قطب بغير علم أن تقرأ الكتاب في آخر طبعاته إن لم تقرأه في طبعاته كلها لتقف على الطعن بنفسك، وتعرف أي

الطرفين صادق الدعوى، أهو القائل أن سيد قطب قد أساء جدًّا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه عليه بطعنه فيهم، بل أساء إلى الإسلام والمسلمين بهذا الطعن . أم هو المدعي لبراءة سيد قطب، وأنه قد حذف فعلاً هذه الإساءات .

ثم بعد هذه القراءة الموصلة إلى الحقيقة تقوم بالقسط الذي فرضه الله، وتقوم بالشهادة لله، لا لأجل هذا أو ذاك .

وواضح أن الكاتب لم يقم بهذا الأمر العظيم الثقيل؛ فهل في استطاعته أن يعتذر عن إخلاله بالقسط، وعدم قيامه بشهادة الحق في أمرٍ عظيم وخطر جسيم ؟ .

وهل يرى أن ما قلناه في هذا المقال الموجز من إدانة سيد قطب بعدم الرجوع عن أباطيله، وأنه إن حصل منه تراجع فإنه هو حبرٌ على ورق فقط بدليل إصراره على نشر أباطيله إلى نهاية حياته .

وهل أنت على استعداد لإدانة محمد قطب وأعدائه، وإدانة الإخوان المسلمين ومؤسساتهم في طبع هذه الكتب ونشرها والترويج لها بشكل منقطع النظير ؟ .

أما علمت أن الله أكثر في كتابه المتزل من قصص الماضين، وذكر ضلالهم ومصارعهم، وذكر أخطاء قوم صالحين وآخرين تائبين كإخوة يوسف وهم من أبناء الأنبياء — عليهم الصلاة والتسليم — ؟ .

أما ذكر أئمة الإسلام أخطاء أئمة كبار وانتقدها، وذكروا ضلالات أقوام قد تابوا وأعلنوا توبتهم، كالجويني، والغزالي، والرازي، وابن عقيل الحنبلي، والشهرستاني؛ لأن ضلالهم ينتشر في أوساط المسلمين .

فعل أئمة المسلمين ذلك تحذيراً ونصحاً لله ولرسوله ولكتابه وللمسلمين .

أما علمت إجماع المسلمين على جواز — بل وجوب — الرد على أهل البدع وأهل الباطل والإنكار عليهم، وأنه جهاد ؟ .

ومن هنا انطلق أئمة الإسلام والسنة في ردودهم وطعونهم في أهل البدع وكشف عوارهم وبيان ضلالهم أحياء كانوا أم أمواتاً، ولو مرّ على موقم القرون .

هل أنت مستعد لإدانة الإخوان المسلمين وفصائل القطبيين الذين يخالفون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في حمايتهم لأهل البدع وحماية كتبهم التي تحمل من البدع قديمها وحديثها ما لم يعهده المسلمون ويعتبرون النقد والبيان ظلماً وعدواناً وفتنة ونشأ للأموات وتفريقاً للمسلمين .

كبرت كلمة تخرج من أفواه المبطلين التي تصير الواجب والمعروف منكراً والهدى ضلالاً .

2 — أشار الكاتب إلى منهج الموازنات . ولي عليه ملاحظة ليس هذا حينها، وأُحيله إلى كتب الجرح الخاص، وإلى كتب عقائد السلف، وإلى كتاب منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف. ليعلم كيف يكون التعامل الصحيح مع مَنْ هو دون سيد قطب في البدع، فضلاً عما يساويه .

3 — قال : «وليسمح لي الشيخ ربيع بهذا التعقيب وهذه الملاحظات على أيّ أودّ قبل ذلك التنبيه على بعض المسلّمات التي لا أظنّ الشيخ ربيع يخالفني فيها؛ ومن ذلك : أننا نقبل الحق إذا جاء على لسان سيد قطب أو الشيخ ربيع المدخلي، ونرفض الباطل ونردّه ونرد عليه إذا جاء على لسان الأستاذ سيد قطب أو الشيخ ربيع المدخلي؛ فلسنا صوفية نقدر هذا أو ذاك، وليس هؤلاء بمعصومين» .

والتعليق عليه : بأن هذا الكلام جيّد في الجملة، يقوله كثير من الناس، ولكنه عندهم كلام لا يعدّون أن يكون نظرياً لا واقع له، وليس عندهم تطبيق عملي ولا سيّما المخدوعين بأمثال سيد قطب .

ثم ليس معنى هذا الكلام أن نجعل كتب الضلال من مصادر التلقّي؛ فإن لهذا مخاطره الشديدة، ولهذا حذّر السلف من النظر في كتب أهل البدع، ولكن كثيراً من الناس لم يستفيدوا من نصائح أئمة السلف الصالح وتحذيرهم من النظر في كتب البدع، فوقعوا فعلاً في مهاوي الضلال، ولا سيما المخدوعون بسيد قطب .

لكننا نسأل الله لهم ولهذا الرجل أن يوفقوا لتطبيقها على الوجه الصحيح ولأخذ بتوجيهات السلف في التحذير من كتب أهل البدع ومن اعتبارها من مصادر التلقّي .

4 — قال : «لا أرجو أن يفهم من تعقيبي هذا أنني أدافع عن أخطاء الأستاذ سيد رحمه الله، بل الخطأ خطأ، ولا يُقبل الخطأ من أيّ كان، ولسنا بالذين نستنكر على الشيخ — حفظه الله — أن ينشر الأخطاء التي وقع فيها سيد رحمه الله» .

التعليق : إن التعبير عن ضلالات سيد قطب بالخطأ من الكاتب وغيره يهوّن من شأن هذه الضلالات عند غالب الناس؛ لأن اعتباره من الخطأ عندهم أن صاحب

الخطأ معذور، وأحياناً مأجور . أما التعبير بلفظ البدع ولفظ الباطل عن الباطل فإنه يضع الأمور في نصابها، ويحسب الناس له الحساب .

2 — أن الأخ الكاتب ممن يعلم ما يجري في الساحات من الدفاع المستميت من أولياء سيد قطب لا بالحق ولكن بالباطل؛ فهم الذين يستحقون النقد والتعقيب لا الشيخ ربيع الذي لا يستحق إلا الثناء والتأييد لنصره للحق وكبحه لجماع الباطل وأهله .

3 — قد يفهم القارئ من سياق هذه الفقرة أن سيد قطب أقرب إلى الحق من الشيخ ربيع .

4 — قد مرّ وقتٌ طويلٌ على كتابات سيد قطب فلم نر تطبيق هذه القاعدة تطبيقاً صحيحاً لا من أولياء سيد قطب ولا من هذا الكاتب الذي يرى أن هذه القاعدة من المسلّمات .

وقد مرّ وقتٌ طويلٌ نسيباً على نقدي لسيد قطب فلم نر تطبيق هذه القاعدة لا من الكاتب ولا من غيره من أولياء سيد قطب، ولم نر لهم تأييداً ونصراً لما عند الشيخ ربيع من الحق لا فيما يتعلّق بالعقائد ولا فيما يتعلّق بالطعن في

نبي الله موسى، ولا فيما يتعلّق بالطعن في الصحابة، ولا في غير ذلك من ضلالات سيد قطب .

فما هو رأي الكاتب؟، لا ندري .

لكن ندعو الله له بالتوفيق لقول الحق والصدع به .

وننصحه بقراءة كتب الشيخ ربيع قراءة جادة ثم تطبيق هذه القاعدة تطبيقاً صحيحاً، واضعاً نصب عينيه احترام العقيدة واحترام مقام النبوة ومقام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وواضعاً نصب عينيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «القضاة ثلاثة : واحد في الجنة، واثنان في النار...» الحديث .

كما يجب أن يضع نصب عينيه : «لعن الله من سب أصحابي»، وقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تسبوا أصحابي؛ لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»، وقوله صلى الله عليه وسلم : «من سب أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين» حتى يتحاشا تسمية ضلالات سيد قطب بالأخطاء، وحتى

ينصف العقائد الإسلامية التي ضلّ فيها سيد قطب، وحتى ينصر الصحابة المعتدى عليهم، ومَن هو أفضلُ منهم : كليمُ الله وصفِيّه موسى — عليه وعلى نبينا وسائر النبيين أفضلُ الصلاة والتسليم — .

5 — وقال : «ومع ذلك فليس هناك حرجٌ من تبيان الأخطاء التي وقع فيها هو أو غيره، وتبيان ما إذا كان قد تراجعَ عنها أم لم يتراجع . ولم يكن الشيخ ربيع بأول من تكلم في الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب رحمه الله، بل سبقه في ذلك الكثيرون؛ فهناك على سبيل المثال كتاب «المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال» للشيخ عبد الله بن محمد الدويش . نَبّه فيه على الكثير من الأخطاء التي وقع فيها الأستاذ سيد قطب .

ومثالٌ آخر : فبعد أن نشر الأستاذ سيد قطب رحمه الله كتاب «العدالة الاجتماعية» في مبدء حياته ذات التوجُّه الإسلامي تضمّن كتابه ذاك في طبعاته الأولى إساءات صريحة في بعض الصحابة — رضوان الله عليهم — كعثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان — رضي الله عنهما —، وكان أن انتقده في ذلك الشيخ محمود شاكر — رحمه الله —، وكان ذلك سبباً في أن يحذف الأستاذ سيد قطب تلك الإساءات من الطبعة السادسة والأخيرة في حياته رحمه الله، والتي أصدرتها دار إحياء الكتب العربية عام 1964م، وهي طبعة منقّحة، حيث حذف منها العبارات التي أخذ عليه محمود شاكر وغيره والمتعلّقة بعثمان ومعاوية — رضي الله عنهما —، وأضاف لها فصل (التصور الإسلامي والثقافة) أحد فصول «معالم في الطريق» . نقلاً عن كتاب «سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر» (ص 395 — 356)، للدكتور صالح الخالدي، وتجد مثله في كتابه أبي الحسن الندوي : «شخصيات وكتب» (ص 106) .

أقول :

1 — يظهر من تصرّف الكاتب أنه كغيره قد تأذّى من تبيان أخطاء سيد قطب، ويرى في ذلك حرجاً، وأنه لا حرج عليه في الرد على الشيخ ربيع بغير علم ولا حجة .

2 — وإذا كان يعلم أنه قد ردّ على سيد قطب من سبقوا الشيخ ربيعاً في الرد عليه ولعله يعلم أن هؤلاء الرادين على سيد قطب قد أنكروا عليه تكفير الأمة

بالباطل، وأن بعضهم أنكر عليه مسائل عقدية كإنكاره لرؤية الله، وأن بعضهم ناقشه في أكثر من مائة وثمانين مسألة، منها : مسائل عقدية كصفة الاستواء وغيرها .

فإن كان يرى أنهم قد أخطأوا في ردودهم على سيد قطب فكان ينبغي أن يبدأ بهم، وإن كانوا مصيبين فكان يجب عليه أن يؤيدهم نصراً للحق ودحضاً للباطل وتطبيقاً للقاعدة المسلّمة التي ذكرها، ثم يأتي بعدهم إلى ربيع فيدرس ردوده على سيد قطب دراسة متأنية لنصرة الحق ودحض الباطل؛ فإن وجد الشيخ ربيعاً مصيباً في نقده جميعاً أيده، وإن وجد عنده حقاً وباطلاً أيّد الحق وردّ الباطل بالحجة والبرهان في كل قضية، ثم يحكم على سيد بما يستحقّه .

ولا أقول هذا لهذا الكاتب فقط، بل أقولها لكل من يتكلّم في هذه القضايا بغير علم ولا هدى .

3 — هكذا يفعل سيد قطب في بداية توجهه الإسلامي، يفتح هذا التوجه بالاشتراكية الغالية، وبالطعن في أصحاب رسول الله — أي : بالرفض —؛ وفي أوج حماسه للإسلام المفتتح بما ذكر ينتقده محمود شاعر في هذا الطعن الظالم، فلم يندم، ولم يعتذر، ولم يعلن تراجعاً؛ فيصف محمود شاعر ونقده بالصخب ونفض الغبار والأسلوب الصاحب المفرق، ويستمر في المغالطات وفي الطعن في بني أمية، ثم يرى أنه على حق، ويتوجّ هذا التعالي على أصحاب محمد وعلى محمود شاعر بقوله :

«ما كان لي بعد هذا وأنا أملك زمام أعصابي مطمئن إلى الحق الذي أحاوله أن ألقى بالاً إلى صخب مفتعل وتشجّ مصطنع⁽¹⁾ .

وما كان لي إلا أن أدعو لصديقي (شاعر) بالشفاء والعافية والراحة مما يعاني، والله لطيفٌ بعباده الأشقياء» .

هكذا أجاب محموداً بهذه الإهانات والأسلوب الساخر وتركية نفسه بأنه مطمئن إلى الحق في طعنه لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وبعدهم المبالاة، فضلاً عن التواضع والتوبة والندم .

(1) سبحان الله !! . يقول هذا تركية لنفسه، ويصف موسى بتوتّر الأعصاب، وأنه عصب المزاج ... إلى آخر طعناته الشنيعة في هذا النبي الكريم . ويصوّر أكثر أصحاب محمد ومعظم التابعين بأنهم على جاهلية وباطل .

هذا حصل منه في عام 1952م كما جاء في ردّه على محمود شاكر في مجلة «الرسالة» العدد (977) .

ويستمر — وهو في أوج إسلامه — في عدم مبالاته واستشعاره أنه على الحق قرابة ثلاثة عشر عاماً — أي : إلى عام 1964م — كما يدّعي الكاتب وحجته الدامغة للشيخ ربيع ما نقله عن صلاح الخالدي الذي أفنى حياته في تقديس سيد قطب وتلميذه وتضخيمه لأغراض يعلمها الله، وقد ندرك شيئاً منها؛ وهلاً درست ما شئت من طبعات هذا الكتاب من الطبعة السادسة التي تزعم أنه قد أزال الإساءات إلى أفضل البشر وأكرمهم بعد الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — إلى الطبعة الثانية عشر، ثم خرجت بنتائج صحيحة ترضي أهل الشرع والعقل؛ هلا فعلت ذلك قبل أن تخوض غمار النقد .

وهلاً درست انتقادي في كتابي «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم» ودرسته دراسة العلماء الربانيين الذين لا يريدون إلا وجه الله ونصرة الحق . ثم خرجت بنتائج تتلج صدور فحول النقاد المؤمنين بالله والموقرين لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

كيف تستسيغ التقليد الأعمى لشخص من أشدّ الغلاة في سيد قطب الساب لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، والسابّ لكليمه موسى، والساخر به، والساخر بمن يذبّ عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ مجمّع أكبر الضلالات والبدع؛ فهلا استحضرت أنت والخالدي وأتباع سيد قطب وأنصاره قول النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تسبّوا أصحابي؛ فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه»، وقوله : «لعن الله من لعن أصحابي»، وقوله : «من سب أصحابي فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين» .

وهلا استحضرت قول أهل السنة بالإجماع أن من انتقص أصحاب محمد أو أحداً منهم فهو رافضيّ خبيث .

وهلا استحضرت قول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل : «من انتقص أحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاتهموه على الإسلام» .

4 — يظهر من كلام الأخ الكاتب أنه يرى أن سيّداً قد تراجع عن أخطائه، وقد أكّد هذا بقوله فيما يأتي : «وكان سيد قطب رجّاعاً للحق عندما يتبيّن له .

5 — وأكده بقوله : «وحذف الإساءات» . هذا الكلام لا رصيد له من الواقع وإلاّ فما هو السرُّ في بقاء هذه الطعون الشنيعة في الطبقات السابقة إلى الطبعة الثانية عشرة، ولعلّ بعدها طبقات أخرى لم نقف عليها .

فما رأيُّ الكاتب إن وجد الناس أخبث الطعون الرافضية في الطبقات الأخيرة المشار إليها التي يدعي سيد قطب أنه على الحق فيها، هل يستطيع أن يدين سيد قطب بأنه معاند متمادٍ في الباطل غير رجّاع إلى الحق .

وهل هو مستعد أن يدين الخالدي وكل من يدّعي لسيد قطب أنه رجّاع إلى الحق بما يستحقون .

لقد أعطيتكم هذا الرجل صفة ذلك الصحابي العبقري الخليفة العادل عمر بن الخطاب، «وكان وقافاً عند كتاب الله»، كما قال ابن عباس، وهذا من آثار الغلو المدمر .

6 — ما هي الأخطاء الكثيرة التي كانت في «الظلال» ثم تراجع عنها أخيراً .

فإن كنت عرفت هذا بنفسك فبين لنا ذلك .

وإن كنت ناقلاً هذا عن الخالدي أو غيره فبين لنا ذلك أيضاً .

ثم لينظر الناس في ذلك ليروا هل هناك تراجع فعلاً عن أخطاء أو هو أضاف أخطاء جديدة إلى الأخطاء القديمة بسبب اكتشافه للمنهج الحركي الجديد . كما يشيد بذلك صلاح الخالدي .

ثم لماذا أبقى عقيدة وحدة الوجود، والحلول، والجبر، والقول بخلق القرآن بأسلوب ملتو كالقول بأنه من صنع الله، وقوله : إن كلام الله هو مجرد الإرادة . يكرّر ذلك في الظلال وغيره والتصريح بأن أخبار الآحاد لا يبنى عليها عقيدة، وتعطيل صفات الله .

ولماذا لم يتراجع عن الاشتراكية التي صدع بها في «العدالة الاجتماعية»، ومعركة الإسلام والرأسمالية .

ولماذا لم يتراجع عن التهويش على معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقد دوّنهما العلماء في مجلدات، والتي يدين بها أهل السنة جميعاً وغير أهل السنة من فرق الضلال؛ وكل هذه وغيرها من الضلالات مدوّنة في كتابه «الظلال» الذي ينتشر في العالم كله إلى ستّ وعشرين طبعة؛ أفرايت لو أن سيد قطب تراجع عن بعض هذه

الضلالات في كتاب آخر أفيجوز بقاؤها في «الظلال» وطبعها ونشرها خلال هذا الكتاب في العالمين وفي أوساط أمم لا تدري عن ذلك الكتاب أو لا تدري أن في هذا الكتاب تراجعاً عن هذه الضلالة أو تلك ؟ .

قال : «وإضافة للشيخ محمود شاكر فإننا نجد على سبيل المثال محمد سرور زين العابدين حفظه الله تبياناً لبعض الأخطاء التي وقع فيها سيد قطب في حادثة السحر التي وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم من اليهودي لبيد بن الأعصم . وذلك في البحوث التي كتبها في السيرة النبوية قبل ما يزيد على ربع قرن، ثم نشرها في كتابه «دراسات في السيرة النبوية»، وانظر ما ذكره من أخطاء لسيد قطب في ذلك الكتاب، ص 321 » .

لا ندري ماذا يريد هذا الكاتب الذي بهذا أورده وهو يتحدث عن تراجع سيد قطب عن الأخطاء ؟ . فهل هو يريد مدح محمد سرور؛ لأنه قام بواجب النقد والبيان لأخطاء سيد قطب أو أن له قصداً آخر ؟ .

فإن كان يريد الأمر الأول؛ فقد رجعنا إلى الموضع المشار إليه (ص 321) من الكتاب المذكور، ورجعنا إلى ما قبله وما بعده فوجدنا ما يلي :

أولاً : أنه لم ينتقده إلا في خطأ واحد فقط لا في أخطاء، مع أن سيد قطب قد شارك العقلانيين في هذا الباطل، وهو الطعن في حديث السحر مع أنه قد ورد من عدة طرق صحيحة، وشاركهم في ردّ أحاديث الآحاد في أبواب الاعتقاد وأنه لا تقوم عليها عقيدة .

ثانياً :

أ — ناقش محمد سرور هؤلاء العقلانيين في قضايا يشاركون فيها سيد قطب إن لم يكن بالقول فهو يشاركون فيها بالعمل مثل تقديم العقل على النقل؛ فسيد قطب قد شاركهم في تعطيل صفات الله عز وجل كصفة الاستواء وغيرها في كتابه «الظلال»، و «التصوير الفني في القرآن»، و «مشاهد القرآن في القيامة» .

ب — ومثل إنكار المعجزات النبوية أو تأويلها بأسلوب فيه مناورات وتلبيس أحياناً، ويتعلّل لردّها بعقل العقلانيين بأن البشرية قد بلغت سنّ الرشد، وبأن القرآن لا يجبر العقل على الاعتراف بالخوارق أو كما قال، بل صرّح بأن الخوارق في صميمها مناقضة لطبيعة الدين كما في كتاب «السلام العالمي» (ص 42)، وصرّح

بأن معجزة النبي الوحيدة هي القرآن، وهذا المذهب — مع ما قبله — يرد ألفوف الأحاديث .

ج — والدندنة حول رفع عيسى إلى الله حياً بالإشارات بأنه قد توفي (أي : مات)، وأن حياته كحياة الشهداء .

د — وانتقد محمد سرور العقلانيين في موقفهم من الصحابة مع أن سيد قطب قد طعن فيهم أشد من طعن العقلانيين ولم ينقده .

ه — وانتقد هيكل في القول بوحدة الوجود ولم ينتقد سيد قطب، وأنكر على المراغي ومحمد رشيد رضا عدم إنكارهما على هيكل وحدة الوجود ولم ينكر على محمد قطب ولا على الإخوان المسلمين ترويحهم لكتب سيد قطب وفيها من البدع الشيء الكثير والخطير، ومنها وحدة الوجود .

ولم يقف محمد سرور عند هذا الحد، بل تجاوز ذلك إلى نسج هالات المدح والتمجيد لسيد قطب ورمي منتقديه بالظلم .

وهذا المنهج الذي سلكه محمد سرور في نقده يبرأ منه الإسلام؛ لأنه يكيل فيه بمكيالين ويغمط فيه الحق وأهله .

وفيه تدريب للغلاة في سيد قطب وأمثاله على المغالطات وإنكار الحقائق .
فمع نقده لمحبي سيد قطب ووصفه لهم بأن عقولهم مغلقة مقفلة فإنه بعمله هذا لا يزيدهم إلاّ بلاء؛ إذ انتقد سيد قطب في مسألة واحدة، ثم أسدل الستار على سائر ضلالاته وناقش شركاءه في ضلالات معينة، ولم يشر إلى سيد قطب فيها من بعيد ولا من قريب، ولا يخفى على مثل محمد سرور وقوع سيد قطب فيها .
وهذا عمل لا شك فيه أنه تدريب لمغلقي العقول على التلبيس والمغالطات والمكابرة .

6 — قال الكاتب : «وأيضاً للشيخ علوي السقاف صاحب كتاب «التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو الفعل أو الاعتقاد» كتاب اسمه : «تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب» قال في مقدمته (ص 5 — 6) : «ولما كان هذا الكتاب من الكتب التي يقرأها الكثير من شباب الدعوة اليوم، وقد لا يملك بعضهم معرفة الصحيح من الضعيف، كما أن مؤلفه سيد لم يكن من أصحاب هذا الشأن؛ فهو يورد أحاديث كثيرة منها الصحيح

والضعيف وما لا أصل له . رأيتُ أن من أهم ما ينبغي أن يشتغل به طالب العلم هو تنقية الكتب مما شابها من أحاديث لا تصحّ نسبتها إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم — وهذا منها — حتى تسلك هذه الدعوة الجادة ولا تخطئ الطريق» .

هذا العمل من السقاف جيّد لو كان هذا هو العيب الوحيد في الكتاب؛ فكان عليه أن ينتقد ما فيه من ضلالات كبرى ليصحّ قوله : «حتى تسلك الدعوة الجادة ولا تخطئ»، فإن خطأ الطريق الذي وقع فيه محبّو سيد قطب ليس من هذه الناحية، وإنما وقع من التأثر بفكره ومنهجه، ولعل الكثير منهم قد ضلّ بعقائده نتيجة لهذا الحب الأهوج والغلو القاتل .

فكان على السقاف إن لم يقدّم بتنقية كتاب «الضلال» من الضلال أن يدعو غيره إلى القيام بهذا الواجب، فإن تمّ ذلك استقام قوله : «حتى تسلك الدعوة الجادة ولا تخطئ» . أما ولم يتحقق ذلك فإن الأمر خطير لا سيما ومحبي سيد قطب — كما وصفهم — أعرف الناس بهم وهو محمد سرور : «ولكن هؤلاء ليسوا على استعداد أن يسمعوا من أحد قوله أخطأ سيد قطب، ولو كان قد أخطأ فعلاً فعقولهم مغلقة مقفلة»، وصاحب الدار أدري بما فيه، وشهد شاهدٌ من أهلها .

نسأل الله لهم العافية من هذا الداء وأمثاله .

فهل أنت مع من يدرك أدواء محبي سيد قطب ويسعى جاداً في انتشالهم؟؛ فإن ذلك أنفع لهم ولسيد قطب من الدفاع عن أباطيل سيد قطب بأي أسلوب كان .

7 — قال صاحب المقال : «وهناك كتاب «المورد العذب الزلال» ولا يحضرني بقية اسم الكتاب الآن، وغيرها من الجهود» .

صاحب «المورد العذب الزلال» ينطلق من منطلق السلف الصالح في نقده؛ فلماذا تقحّمه في محبي سيد قطب ؟ .

ولو كان أتباع سيد قطب ممن هضم المنهج السلفي لما احتاجوا إلى هذه الجهود ولتخلوا عنه وعن كتبه، بل لحاربوه وحاربوا كتبه كما فعل السلف الصالح بكتب أقلّ ضلالاً وأخفّ خطراً وضرراً، ولكن الفتنة تعمي وتصم .

8 — حاول الكاتب هنا أن يخطئني في تحديد سنن الكهولة والشيخوخة ولم يذكر دليلاً على هذا الخطأ؛ فرأيت لزاماً بيان وجهة نظري .

قال في «مختار الصحاح»: «الكهل من الرجال من : جاوز الثلاثين» .
وفي «المعجم الوسيط» في مادة (شيخ) : «الشيخ : من أدرك الشيخوخة، وهي غالباً عند الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهرم» .
وقال القرطبي في «تفسيره» (330/15) : «والشيخ : من جاوز الأربعين»،
وكذا قال الشوكاني في «فتح القدير» (501/14)، واللغويون يختلفون في تحديد الكهولة والشيخوخة .
وقال سيد قطب وهو يتحدث عن مراحل الإنسان : «مرحلة الطفولة، ثم بلوغ الأشد حوالي الثلاثين، ثم الشيخوخة» . انظر : كتاب «في ظلال القرآن» (3095/5) .
وإذا : فلي وجه فيما قلته؛ وأنا أرفقُ بسيد قطب في هذا التحديد، ولا أبعد عن قول القرطبي والشوكاني، لا سيما إذا راعينا الفرقَ بين التاريخ الهجري والميلادي .
فإذا ترجح لكم بعد هذا قول سيد قطب فعدلوا كلامي، ويكون التعديل هكذا : نعق بها في طفولته، ثم عند بلوغ الأشد، ثم في شيوخته، فيستقيم لكم الكلام وتسقط الاعتراضات .

قال الكاتب : «وها هنا وقفة مع الشيخ ربيع في كونه يستدل على عقيدة سيد قطب ومنهجه بالكتب والأشعار التي كتبها قبل المرحلة التي مرّ بها، بالرغم من أن سيّداً رحمه الله تبرّأ من أكثر تلك العقائد والأفكار فيما بعد كما سنبيّنه في هذه المسألة إن شاء الله .

فليت الشيخ ربيع كان أكثر حرصاً في بيان رجوع الأستاذ سيد قطب رحمه الله — عن هذه الأخطاء، وليته على الأقلّ بين أن كثيراً من الأقوال المنسوبة لسيد كانت في مرحلة ضياعه وفي مقتبل حياته ذات التوجه الإسلامي، وأنه في الأخير تراجع عن الكثير من تلك الأخطاء .

ولنا أن نضرب للشيخ ربيع مثلاً يوضّح المقال : فالعلامة أبو الفضل ابن الرضا البرقي والذي كان قديماً من كبار علماء الروافض وألّف في نصرة مذهبهم التصانيف الكثيرة والعديدة يسّر الله هدايته للإسلام الصحيح على عقيدة أهل السنة والجماعة، وألّف بعد ذلك الكتب الكثيرة في الردّ على الروافض من قبيل «كسر الصنم»، و «أحكام القرآن»، و «دراسات في أخبار المهدي» وغير ذلك .

فهل ترى يا شيخ ربيع من العدل والإنصاف أن نقول أن العلامة البرقي يقول بكذا وكذا من عقائد الروافض ونستدلّ لذلك ببعض الكتب القديمة والتي ألّفها قبل أن يصبح من أهل السنة والجماعة .

وقل مثل هذا في العلامة البحر مفخرة هذا العصر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» فهو في مقتبل حياته لم يكن على العقيدة السلفية عقيدة أهل السنة والجماعة ثم منّ الله عليه بالهداية بعد ذلك .

وأما أن يختم الشيخ ربيع كلامه عما أسماه «أطوار سيد قطب في وحدة الوجود» بمثل هذا الكلام : «عاد مع الأسف إلى تقرير عقيدة وحدة الوجود والقول بالحلّول والجر»، فسيأتي بإذن الله ما ينقض هذا الادّعاء جملةً وتفصيلاً، وبيان أن الطور الأخير لسيد قطب في هذا هو الردّ على القائلين بوحدة الوجود» .

التعليق :

1 — إن الشيخ ربيعاً في نقده في مؤلفاته «أضواء إسلامية» وما بعده لم يعتمد في نقده لسيد قطب إلا على ما كتبه سيد قطب في المرحلة التي تسمونها بالمرحلة الإسلامية .

وفي نقده في المقال الأخير الذي ناقشه إنما أراد بيان أن سيد قطب كان قد ابتلى بداء وحدة الوجود من كهولته — وتحاشى رفقاً به أن يقول من شبابه —، وأن هذا الداء استمر في المرحلة الإسلامية، بل في أوج حماسه للإسلام في نهاية الخمسينيات بل وفي السجن .

2 — أما أن سيد قطب قد تبرأ من أكثر تلك العقائد والأفكار فهذا شيء لم أعلمه ولا يعلمه غيري فيما أعتقد .

فإذا كان الكاتب عنده تصريحات سيد قطب ببراءته من أكثر تلك العقائد والأفكار؛ فيجب عليه أن يبادر بإعلانها ناصحاً على مواضعها من مؤلفاته المعروفة حتى يصدقه الناس، ثم لي النظر والتأمل في هذه التصريحات بالبراءة، فقد أترجع بشرط أن يعتذر الإخوان المسلمون ومحمد قطب عن نشر ضلالاته عبر أربعة عقود بنشر كتبه التي حوت تلك الضلالات، وأن يعلنوا توبتهم فيما اقترفوه في حق الإسلام والمسلمين. وبشرط أن يوقفوا طباعة ونشر كتب سيد قطب التي حوت تلك الضلالات .

وإن عجز الكاتب أن يأتي بتلك التصريحات وعجز كذلك القطبيون والإخوان المسلمون فليعلم المسلمون أن أتباع سيد قطب وأنصاره لا يستطيعون أن يدافعوا عن قطب بحجة، وليقرأوا قوله الله تعالى : { ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير }، وقوله تعالى : { ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق } .

لقد أحيا هؤلاء القوم المذاهب الباطلة، ومنها : السفسطة، والمكابرة؛ وحاموا وناضلوا عن البدع الكبرى، ومنها : المكفّرات؛ وحاربوا أهل الحق بأساليب يخجل منها أحرّ البشر، فضلاً عن عقلائهم وشرفائهم .

ولا ندري بعد هذا ما هو الإسلام الذي ينادون به ولا من هم أهله إذا كان سيد قطب قد طعن في الصحابة وهم ينشرون طعنه فيهم عبر عقود دون خوف ولا

وجل من رب العالمين ولا احترام لمشاعر المسلمين، بل تجاوزوا ذلك إلى حرب من يستنكر هذا البغي والمنكر الكبير .

قال صاحب المقال : «وأما ما ذكره الشيخ ربيع ...» إلى قوله : «ثم من الله عليه بالهداية» .

نقول : لو فعل سيد قطب مثل ما فعل هذان الفضلان لما انتقدّه أحدٌ لا ربيع ولا غيره ممن ذكرتهم أنت سلفاً .

ولكن البون شاسعٌ جداً والمسافة هائلة بينه وبينهما؛ فالبرقي — كما تذكر — ألف كتباً في الردّ على الروافض منها ما ذكرته أنت، ومع ذلك لو بقيت عليه رواسب من مذهبه القديم لوجب على من يعلمها من أهل العلم بيانها .

والشيخ الشنقيطي يدّعي له بعض الناس أنه من أصله وأوّل حياته سلفي، ولو فرضنا أنه كان على غير منهج السلف فإنه لم يؤلف مؤلفات في غير مذهب السلف، وإنما امتلأت مؤلفاته بالعلوم الصحيحة على منهج السلف الصالح والعقائد السلفية الحقّة؛ وكتب سيد قطب مشحونة بالضلالات؛ فقياسك سيد قطب عليهما قياسٌ فاسد الاعتبار .

3 — قال الكاتب : «وقد قال في مناسبة أخرى : إن الإسلام يصوغ من الشيوعية والمسيحية معاً مزيجاً كاملاً يتضمن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والاعتدال» [«معركة الإسلام والرأسمالية» (ص : 68)] .

وننقل للشيخ ربيع جزءاً أكبر مما قاله الأستاذ سيد قطب في تلك الصفحة التي أحالنا إليها الشيخ ربيع حيث يقول سيد قطب : «ولا بدّ للإسلام أن يحكم ليقدم للإنسانية مجتمعاً من طراز آخر؛ قد تجد فيه الإنسانية حلمها الذي تحاوله الشيوعية، ولكنها تطمسّه بوقوفها عند حدود الطعام والشراب؛ وتحاوله الاشتراكية ولكن طبيعتها الماديّة تحرمه الروح والطلاقة، والذي حاولته المسيحيّة ولكن لم تنظم له الشرائع ولم تضع له القوانين؛ ولا بدّ للإسلام أن يحكم لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية التي تصوغ من المسيحية والشيوعية مزيجاً كاملاً، يتضمن أهدافهما جميعاً، ويزيد عليهما التوازن والتناسق والاعتدال» . «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص : 61) .

ولقد هاجم سيد قطب في هذا الكتاب الشيوعية والاشتراكية والنصرانية وبيّن أوجه الضعف والقصور فيها، وبيّن في هذا الكتاب الشيوعية والاشتراكية والنصرانية، وبيّن أوجه الضعف والقصور فيها، وبيّن أن الإسلام جاء بالتوازن بين الجانب المادي الذي تدّعيه الشيوعية والجانب الروحي الذي تدّعيه النصرانية، وبذلك يصبح الإسلام هو العقيدة الوحيدة الإيجابية)).

التعليق :

إن الكاتب ما زاد بهذه الإضافة الطين إلاّ بلة، وما زاد الأمر إلاّ سوءاً .
 أولاً : إن ظاهر كلام سيد أن الشيوعية ذات منهج سليم ليس فيها عيب، إلا أنها وقفت بمبادئها عند حدود الطعام والشراب، فلو تجاوزت تلك الحدود لحققت حلم الإنسانية، ولقدّمت للناس ما يقدّمه الإسلام .
 وأن النصرانية المحرفة المنسوخة حقّ لا ينقصها إلاّ أنها لم تنظم لهم الشرائع ولم تضع لهم القوانين، فلو فعلت ذلك لكانت ديناً قويمًا .
 وأن الاشتراكية حقّ لا ينقصها إلاّ أنها حرمت الروح والطلاقة .
 ولوجود هذا الحق والخير في هذه المذاهب يرى سيد قطب أن الإسلام «يصوغ من الشيوعية والمسيحية مزيجاً كاملاً يتضمّن أهدافهما ويزيد عليهما بالتناسق والتوازن والاعتدال .
 والمعلوم لدى المسلمين والنصارى واليهود أن الشيوعية ديانة ملحدة موغلة في الإلحاد والزندقة، وأن الاشتراكية منهج خبيث من شرّ دعائم الشيوعية .
 وأن النصرانية دين قد أفسده التحريف والتبديل، وأن الجانب الروحي منها فاسد في غاية الفساد والضلال .

ثم إن كلام سيد قطب هذا فيه إهانة للإسلام الكامل الشامل الذي يرفض أن ينسب إليه أي بدعة ولو دقّت، ويرفض أخطاء كبار العلماء؛ فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم يزجر عمر أن ينقل من التوراة نصّاً ولو كان حقّاً ويقول له : «أمتهوكون يا ابن الخطاب ؟؟ والله لو جاء موسى ما وسعه إلاّ اتباعي»، وهذا حبر الأمة يقول لمن عارض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر وعمر : «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء !؟»، أقول : قال رسول الله، وتقولون : قال أبو بكر وعمر !!؟» .

والله سبحانه وتعالى يقصر رسوله على الوحي المتزل عليه من الله، فيقول :
 { اتبع ما أوحى إليك }؛ وما شاكل هذا النص، ويقصر الأمة على اتباع الوحي كما
 قال تعالى : { اتبعوا ما أنزل إليكم من ربك ولا تتبعوا من دونه أولياء } .

وإذا كان الأمر كما ذكر فهل يجوز لسيد قطب أن يقول هذا الكلام الذي
 وصفه بعض العلماء بأنه دعوة إلى وحدة الأديان؟، وكيف تستجيز تقرير هذا الكلام
 الباطل وتدافع عن صاحبه، وما رأيك لو ذم سيد قطب أو غيره الكهانة والسحر» ثم
 قال : «لكن الإسلام يصوغ منها مزيجاً كاملاً يتضمن أهدافهما ...» إلخ . ولو ذم
 سيد قطب أو غيره الخمر ولحم الخنزير»، ثم قال : «ولكن الإسلام يصوغ منهما
 مزيجاً كاملاً يتضمن أهدافهما ...» إلخ . أترى هذا الكلام حقاً أم ضلالاً وباطلاً
 من شرٍّ وأخبث أنواع الضلال والباطل .

4 - قال : «يقول الشيخ ربيع : وله في السلام العالمي مدحٌ للعقيدة
 النصرانية» . وكنا نودّ لو أن الشيخ ربيع ذكر لنا من كلام الأستاذ سيد قطب الذي
 استنتج منه هذا الاستنتاج؟؟» .

نقول : ارجع إلى كتابي «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم» (ص
 34، 39) فقد بينت فيه ما تريده وتودّه . وراجع
 كتاب : «نحو مجتمع إسلامي» (132 - 133)، وكتاب «معركة الإسلام
 والرأسمالية» (ص : 56 - 57) كلاهما لسيد قطب تجد فيها هذا المدح .

5 - قال : «وحتى تبين لنا يا شيخ ربيع المصدر الذي استنتجت منه مدح
 الأستاذ سيد قطب لعقائد الهندوك ودفاعه عنها فإننا نودّ هنا أن ننقل لك ما قاله
 الأستاذ سيد قطب رحمه الله في آخر كتبه وبعد التاريخ الذي ذكرته لنا بما يزيد
 على 17 عاماً حيث إن الشيخ ربيع ذكر أن كلام سيد قطب السابق كان في
 عام 1946م أو 1947م، وأما ما نقله هنا فهو من كتاب صدرت طبعته الأولى
 عام 1962م : يقول سيد وهو يرد على عقائد الهندوكية الوثنية في كتاب
 «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» : يقول في (ص 185) : «الهندوكية
 مثلاً اعترفت بواحد هو وحده الموجود وهو براهما، وجعلت من صفاته : التفرد
 بالكمال ...» .

جعلت ما عدا هذا الواحد الموجود عدماً لا وجود له ... فهذه الأكوان وما فيها عدم !، ولكنها من جانب آخر جعلت الوجود الذي هو الخير والكمال يحلّ في العدم الذي هو الشرّ والنقص ... ومهمة الهندوكي المؤمن إذن هي المحاولة المستمرة لتخليص الوجود والخير والكمال والبقاء الذي في كيانه من العدم والشرّ والنقص والفناء ليصير براهما ... ومن هنا حرصه على إفناء جسده الذي هو العدم لينطلق الوجود الحال فيه، ويصبح طليقاً ... وهذه هي درجة النرفانا وهي تمثل الخلاص والانطلاق والعودة (براهما) !» .

وبيّن رحمه الله فساد عقيدتهم من جهة الحلول والتثليث حيث يقولون بالآلهة الثلاثة : براهما، وفشنو، وسيفا .

وبعد أن ردّ رحمه الله على كفرياتهم وضلالاتهم استطرد فقال : «وهكذا نستطيع أن نقول باطمئنان : إن تصوّر الإسلام هو تصوّر الوحيد الذي بقي قائماً على أساس التوحيد الكامل الخالص، وإن التوحيد خاصية من خصائص هذا التصوّر، تفردته وتميّزه من سائر المعتقدات السائدة في الأرض على العموم» (ص : 187) .

وهذا الفصل مهم في الرد على ضلالات الفلاسفة والنصارى وكفرياتهم حيث بيّن فساد عقيدتهم وعدم وجود التوحيد عندهم .

التعليق :

أولاً : قال هذا في كتابه «كتب وشخصيات» (ص : 228 — 229) .
ودافع عن هذه العقيدة وأهلها بحماس ومدحها، ومدح أهلها .

ثانياً : يجب أن تثبت بالأدلة أن كتاب «خصائص التصور الإسلامي» هو آخر مؤلفات سيد قطب .

ثالثاً : سأوفر لي ولك الوقت، فأقدم لك شهادة من تعتد أنت بشهادته ألا وهو صلاح عبد الفتاح الخالدي حيث يقول في كتابه «سيد قطب الأديب الناقد ...» إلخ (ص : 227) وهو يتحدث عن كتابه «خصائص التصور الإسلامي» :
«وقد أعلن عن الكتاب سابقاً تحت عنوان (فكرة الإسلام عن الله والكون والحياة والإنسان) أعلن عنه في كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية» و «السلام العالمي والإسلام» اللذين أصدرهما عام 1951م .

واستغرق إعداد هذا الكتاب أكثر من عشر سنوات (1950 — 1962م)
فالذي يظهر أن كلام سيد قطب على الهنود النيرفانا كان قبل تقريره لوحدة الوجود في أواخر كتابه «الظلال» بسنوات .

1 — لأن إعلانه عن هذا الكتاب في عام 1951م يدلّ على أنه قد فرغ منه وأعدّه للطبع والنشر، ولكن لعله لأسباب — قد يعلم الناس بعضها وهي مشاغله ومشاكله التي عاشها — قد أخر طبع ونشر هذا الكتاب؛ ومثل هذا يحصل له ولغيره» .

وقول الخالدي : أنه استغرق إعداده عشر سنوات بعيد ولا دليل عليه لما سبق ذكره، ولأنه كتيب صغير فكيف يستغرق هذه المدة الطويلة بعد الإعلان عنه؛ فهذا لا يقبله عقل ولا عرف .

2 — أن سيد قطب قد اشتهر بوحدة الوجود وغيرها من الضلالات في شعره ونثره، ثم التحق بالإخوان المسلمين، فأراد أن يثبت لهم رجوعه عن وحدة الوجود ظناً منه — والله أعلم — أنهم يحاربون مثل هذه العقيدة .

فسجّل نقده للنيرفانا في كتابه «الخصائص» الذي بدأ في تأليفه عام 1950م، وأعلن عنه في عام (1951م)، ثم سجّل نقده لوحدة الوجود في أول جزء من كتاب «الظلال» عام 1952م، ونقده لهما في الكتابين في غاية البرودة؛ فلا أدلة ولا حجج

ولا براهين على إيغالهما في الكفر والإلحاد، ولا حماس ضدّهما فإنّ ماضيه المظلم يتطلّب منه أكثر من غيره أن يكرّ عليهما ويصول ويجول عليهما أكثر من حماسه للحاكمية والتكفير بهما للمجتمعات الإسلامية في كتبه مثل «الظلال» و «المعالم» و «العدالة» .

ثمّ لما رصد الإخوان المسلمين وعرف حقيقة حالهم وأنهم لا يهتمون بالعقيدة وفي تنظيمهم يوجد الرافضي، والصوفي الغالي سواء ممن يقول بالحلل، أو وحدة الوجود صرّح بما في ضميره في آخر كتاب «في ظلال القرآن» في أواخر كتابه في سورة الحديد، وفي تفسير سورة الإخلاص في نهاية الخمسينات، ولعله بعد هذا . وهذا الذي نقول يؤكّده ماضيه وواقعه وإلاّ فكيف ينتقدها في أول كتابه «الظلال» بأسلوب بارد، ثم يقررها بأقوى الأساليب في موضعين في آخر «الظلال» نفسه .

ثمّ يستمر في نشره والإعتزاز به إلى آخر حياته . ثمّ يقوم بتنقيح كتابه — كما يقولون — وكما يقول الخالدي وهو لا يعتزم تنقيح الأجزاء الثلاثة الأخيرة التي فيها وحدة الوجود . والأجزاء التي يزعمون أنه نقّحها لم ينقّحها من العقائد الضالة كتعطيل الصفات، والقول بأزليّة الروح، والقول بصناعة القرآن، واللف والدوران حول إنكار المعجزات .

ثمّ إن حال أخيه وواقعه يؤكّد ما نقول؛ فهو يشهد أنّ أخاه لم يخالف الكتاب والسنة، ويقرنه بشيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب؛ ولا يرى شيئاً من ضلالاته مخالفًا للكتاب والسنة، ولا يرى شيئاً يترله عن مرتبة هذين الإمامين .

ولو كان سيد قطب وأخوه يريان وحدة الوجود وغيرها من الضلالات كفرًا وضلالاً لبادرا قبل كل شيء بمحو هذا الضلال من كتب سيد قطب ولا سيّما من كتاب «الظلال» . والكلام يطول في هذا .

وعلى كل حال : فمعقولٌ جدًّا أن يكون سيد قطب في أول علاقته بالإخوان قام بنقد النيرفانا ووحدة الوجود ما بين عامي الخمسين والثانية والخمسين بعد التسعمائة والألف من التاريخ الميلادي فهما متقاربان جدًّا . ثمّ لمّا رأى أن القوم

لا يهتمون بالعقائد صرّح بعقيدته في أواخر الخمسينات أو فيما بعده؛ ثم أقرّها ونشرها، وأقرّها أخوه، واستمرّ في نشرها في خلال أربعين سنة فيما يزيد على ستّ وعشرين طبعة لكتاب «في ظلال القرآن»، بل ثلاث وثلاثين طبعة، ونشر كتاب «كتب وشخصيّات» الذي حوى مدح النيرفانا ومدح أهلها والذبّ عنهما .

والذي أعرفه عن سيد قطب : أنه لا يرجع عن أباطيله إلا أندر من النادر بشكل مبهم بارد؛ ذلك لأنه معتدّ بنفسه إلى أبعد الحدود، وأنه — والله أعلم — يرى أنه لا يخرج من فيه إلا الحق والصواب، وليس عنده أيّ داعٍ للرجوع .

وعلى كل حال : فلو ثبت للمسلمين رجوعه فإن لهم الحق أن ينتقدوا ما في كتبه من الضلال ما دامت تنشر في أوساط المسلمين وغيرهم بكثافة؛ وقد ردّ علماء السنة على أقوام نقلوا هم أنفسهم رجوعهم كما رأوا كتبهم التي حوت الباطل تنتشر في أوساط المسلمين نصحاء لله وحمايةً للمسلمين من الوقوع في الضلال .
والله يقول الحقّ، ويهدي إلى سواء السبيل .

التوضيح لما في خطاب محمد قطب عن كتب أخيه من التصريح بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد :

فلقد شاء الله تبارك وتعالى أن أقف على خطاب للشيخ / محمد قطب
أخي سيد قطب - وهو جواب وجهه إلى عبد الرحمن بن محمد الهري الذي
يبدو أنه سألته عن العدالة الاجتماعية لشقيقه سيد قطب ونشر هذا الجواب في
أحد مواقع الإنترنت (أنا المسلم) وهذا نصه :

" الأخ الفاضل عبد الرحمن بن محمد الهري حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سألتني عن كتاب " العدالة الاجتماعية " فأخبرك أن هذا أول كتاب ألفه
بعد أن كانت اهتماماته في السابق متجهة إلى الأدب والنقد الأدبي وهذا الكتاب
لا يمثل فكره بعد أن نضج تفكيره وصار بحول الله أرسخ قدماً في الإسلام . وهو
لم يوصِ بقراءته إنما الكتب التي أوصى بقراءتها قبيل وفاته هي الظلال (وبصفة
خاصة الأجزاء الإثنا عشرة الأولى المعادة المنقحة وهي آخر ما كتب من الظلال
على وجه التقريب وحرص على أن يودعها فكره كله) معالم في الطريق
(ومعظمه مأخوذ من الظلال مع إضافة فصول جديدة) و" هذا الدين "
" والمستقبل " " لهذا الدين " ، " خصائص التصور الإسلامي " ، ومقومات التصور
الإسلامي (وهو الكتاب الذي نشر بعد وفاته) " والإسلام ومشكلات الحضارة "

، أما الكتب التي أوصى بعدم قراءتها فهي كل ما كتبه قبل الظلال ، ومن بينها " العدالة الاجتماعية "

أما كتاب "لماذا أعدموني " فهو ليس كتاب إنما هو محاضر التحقيق التي أجريت معه في السجن الحربي ، حذفت منها الأسئلة التي وجهها إليه المحقق و بقيت الأجوبة ، وقد استخرجها محمد حسنين هيكل من ملفات السجن وباعها لجريدة الشرق الأوسط فنشرتها في جريدة المسلمون مجزأة ثم نشرتها في صورة كتاب ، ولما كنا لم نطلع على أصولها فلا نستطيع أن نحكم على مدى صحتها ومن المؤكد أنهم حذفوا منها ما يختص بالتعذيب (وقد اعترفت الجريدة بذلك) أما الباقي فيحتمل صدوره عنه ولكن لا يمكن القطع بذلك وفضلاً عن ذلك فهذه التحقيقات كلها كانت تجري في ظل التعذيب .
هذا جواب ما سألتني عنه . وبالله التوفيق .

محمد قطب "

وأحب أن أقدم بين هذه المناقشة ما يأتي :

أولاً : أنه لا يعرف عن محمد قطب في عمره المديد أي نقد لسيد قطب ولا لشيء من كتبه وأقواله كلها حسب تتبعي وعلمي بل لا يعرف عنه إلا المدح له التزكية العامة لأخيه وإنتاجه .

ثانياً : أنه هو القائم والمشرف على طبع كتب أخيه التي لا يعرف نظير لطبعها ونشرها في عرض الدنيا وطولها في حدود علمي ولا يعرف ترويج لمثل كتبه وإعلام وهالات ضخمة ومن وراء كل هذا محمد قطب وأعوانه ، ولم يسمع منه ولا من أعوانه أي نقد أو تحذير .

بل لا يعرف عن أعوانه إلا الحرب الضروس لمن ينتقد شيئاً من أخطاء وضلالات سيد قطب ولا يعرف عنهم إلا الشائعات والإعلام الماكر الظالم ضد من يقول كلمة حق في سيد قطب أو بعض ضلالاته .

ثالثاً : لم يسمع هذا التفريق بين ما قبل الضلال وما بعده من محمد قطب إلا في هذا الخطاب الجديد الغريب .

رابعاً : لا يعرف عن محمد قطب حول أخيه وتراثه إلا المدح والإطراء وانتشرت هذه الروح في اتباعه واتباع أخيه ولم يؤيدوا جميعاً أي نقد وجه لسيد قطب لا في العقيدة ولا في المنهج ولو كان هذا النقد دفاعاً عن القرآن أو مكانة النبوة أو مكانة أصحاب محمد ع . فمن ممدوح محمد قطب التي لا يحصيها ويعلم ظاهرها وخفيها إلا الله عز وجل .

هذه الشهادة التي أدلى بها حين احتدم الصراع بين الكتاب من الإخوان المسلمين وغيرهم حول المسائل ، الفكرية ، والفقهية والدعوية في رسالة وجهها إلى صهره **كمال السناني** أحد قادة الإخوان المسلمين .

قال محمد قطب ضمن هذه الرسالة :

" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

فإنك تعلم يا أخي ما دار من لغط في محيط الإخوان حول كتابات الشهيد سيد قطب وما قيل من كونها مخالفة لفكر الإخوان أو جديدة عليه . وأحب في هذا المجال أن اثبت مجموعة من الحقائق أحس بأني مطالب أمام الله بتوضيحها حتى لا يكون في الأمر شبهة . وذكر أن كتابات أخيه تركزت على معنى لا إله إلا الله والحاكمية ، وقضية المفاصلة ، عن كتاب سيد قطب الأديب الناقد (ص 586 - 589) .

بين دوافعه لذلك .

ثم قال تلك خلاصته كتابات سيد قطب ،ولي (أي محمد قطب) على
هذه الخلاصة تعقيبان:

الأول : هو تأكدي الكامل - بإذن الله - من أنه ليس في هذه الكتابات ما
يخالف الكتاب والسنة ، اللذين تقوم عليهما دعوة الإخوان المسلمين .

الثاني : هو تأكدي الكامل - أيضاً - من أنه ليس في هذه الكتابات ما يخالف
أفكار الإمام الشهيد حسن البنا ، مؤسس هذه الجماعة ، ولا ما يخالف أقواله ...
ثم قال : "تلك حقائق أرى أن من واجبي أن أبينها وأوضحها أداء
لشهادة الله ، فإننا لا ندري متى نلقى الله ... ولا ينبغي لنا أن نلقاه وقد كتمنا
الشهادة عندنا لله " . والله الموفق إلى سواء السبيل " .

ولي ملاحظات على هذه الشهادة وعلى كتاب الإخوان أيضاً حيث
حصرنا خلافتهم لسيد قطب في هذه المسائل المشار إليها .

وبنى محمد قطب شهادته على هذا الحصر ، وذلك يدل على أن القوم على
جهل وضلال وهوى تتحكم في عقولهم وفي دينهم فالحلول ووحدة الوجود
ووحدة الفاعليه، وسب الصحابة ، وسب موسى عليه الصلاة والسلام ، وتعطيل
صفات الله ولقول بأزلية الروح ، والاشتراكية إلى ضلالات كبرى تضمنتها
كتب سيد قطب ومقالاته هذه الأمور . إما لأنها تافهة لا تستحق النقاش وإما أن
سيد قطب فيها على الحق والهدى لم يخالف فيها كتاب الله وسنة رسوله .

فإذا كان دافع محمد قطب لهذه الشهادة هو أداء الشهادة لله وإحساسه
بالمطالبة أمام الله والخوف من لقاء الله . وحصر كل ذلك فيما شهد به فقط ،
فمعنى ذلك أنه يحس بالطمأنينة الكاملة أن أخاه على حق في تعطيل صفات الله
وفي طعنه لأصحاب محمد ع إلى آخر الضلالات التي ذكرنا طرفاً منها آنفاً ومن

هنا فهو لا يرى أي داع للإدلاء بالشهادة فيها لله ولا يحس بالمطالبة أمام الله ولا يرهب فيها لقاء الله .

ومن هنا استمر في نشر الكتب التي حوت هذه الضلالات الكبرى طوال حياته لم يشر إلى ما يبرئ ذمته منها لا من قريب ولا من بعيد ومن ورائه الإعلام الإخواني والقطبي يروج لهذه الكتب وما حوته من دمار .

خامساً : وهو يؤكد ما قررناه سابقاً : إذنه الرسمي بطباعة كتبه وكتب أخيه جميعاً حيث قال في رسالة وجهها إلى دار الشروق ومنها :
... " محمد المعلم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

((فقد لمستم ولا شك في أثناء اضطلاعكم بمهمة النشر كيف استغلت ظروفنا السيئة من قبل الناشرين الذين راحوا يطبعون كتبنا المرة تلو المرة كأنها ملك خاص بهم ، غير مباليين بحقوق المؤلفين ولا بالظروف التي يخوضونها . ولو أن هذا البعض كان يبتغي نشر الدعوة وحده فما كان ليسوءنا علم الله . أما وهم يتجرون بها ، ويجعلونها مجالاً للمضاربات والمنافسات ، فقد كان الأمر في حاجة إلى مراجعة ترد الأمور إلى نصابها ، وتحفظ للكتب مكانتها وللمؤلفين حقوقهم)) .

((لذلك رأيت - بالأصالة عن نفسي ، ونباية عن ورثة شقيقي الشهيد سيد قطب - أن أعهد إلى دار الشروق ببيروت في إعادة طبع جميع كتبنا ، على أن تكون مطبوعاتكم منها هي وحدها المعتمدة للتوزيع والتداول)) .

((ولي كبير الرجاء أن تكون إعادة طبعها في دار الشروق العامرة مناسبة طيبة لمراجعة الكتب كلها ، وإجراء ما قد يقتضيه الأمر من تعديلات بها ، أو إبراز لمعانٍ معينة فيها ، مع إخراجها في ثوب جديد ملائم)) .

((وختاماً أرجو للدار كل توفيق في حمل رسالة النشر ، التي تكمل ولا شك رسالة الكلمة ، وتحمل معها الأمانة أمام الله وأمام الناس)) .

محمد قطب "

المجلد الأول قبيل مقدمة المؤلف

أقول :إن مجال نقد محمد قطب واسع جداً وعميق جداً وهو الذي يتولى كبر هذه الفتنة التي سحقت عقول كثير وكثير من شباب الأمة وضمايرهم وأحاسيسهم فهزلت الغيرة على القرآن والسنة والعقيدة والصحابة ومكانة النبوة تجاه مواقف سيد قطب وارائه فيها ، ولم يدرك المساكين أن هذا الرجل جاهل خال الوفاض من العلم ضال العقيدة والمنهج ، نفخ فيه إعلاميون بارعون فأوصلوا الشباب في دينهم بهذا الإعلام الخطير إلى هوة خطيره ، نسأل الله أن ينقذهم منها .

ولي بعد هذا ، تساؤلات أوجهها إلى محمد قطب وننتظر الإجابة عليها بصراحة وصدق وشجاعة .

أولاً : قلت في هذا الخطاب الموجه لعبد الرحمن الهرفي :
" أما الكتب التي أوصى بعدم قراءتها فهي كل ما كتبه قبل الضلال ومن بينها العدالة " .

فنسألك :

أ / لماذا لم تبرز هذه الوصية فور موت أخيك ؟
ب / لماذا أذنت بطبع هذه الكتب طوال هذه المدة المديدة فطبع بعضها أكثر من اثنتي عشرة طبعة ككتاب العدالة الاجتماعية الذي ينطوي على الدواهي والطوام ومنها ظلم سيد قطب وافتراؤه على الخليفة الراشد عثمان وعلى الصحابة من بني أمية وعلى الدولة الأموية والعباسية كما ينطوي على الاشتراكية المجرمة وعلى تكفير الأمة ظلماً وعدواناً .

ولماذا تسمح بنشر كتابه "كتب وشخصيات" وفيه الإشادة بالفرعونية والدفاع عن عقيدة النيرفانا الهندوكية وعن أهلها ومدحها ومدح أهلها كما تضمن هذا الكتاب رمي الصحابين الجليلين معاوية وعمرو بن العاص بالكذب والنفاق والخيانة والغش وشراء الذمم وطعن في جيلهما طعنًا شنيعاً ورمى الكثيرين منهم بالارتداد إلى الهوة التي انتشلهم منها الإسلام .

وتكلم على الفتوحات الإسلامية التي كان يشارك في الجهاد فيها كثير من الصحابة بما لم يقل مثله أشد الأعداء .

ولماذا - سمحت للناشر (دار الشروق) بنشر هذه الكتب التي أوصى أخوك كما تدعي بعدم قراءتها في عدد من الطبوعات ومنها كتاب : التصوير الفني الذي أهان فيه سيد قطب كتاب الله واعتبره قد أحرز سبق في مجال الفن وجعله كله أو جلّه ميداناً للفن .

أنظر قوله : " بهذا ينتهي المشهد ويسدل الستار أو تنقطع الحلقة على أحدث الطرق التي اهتدى إليها المسرح والسينما في القرن العشرين فإذا رفعنا الستار مرة أخرى وجدناهم قد نفذوا ما استقر عليه رأيهم فها هم أولاء في الكهف هاهم أولاء نراهم رأي العين فما يدع التعبير هنا شكاً في أننا نراهم يقيناً " [التصوير الفني ص 191]

كيف يقول سيد قطب هذا والله يقول لنبیه وللناس جميعاً : (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً وملئت منهم رعباً) .

كيف سمحت بطبع ونشر هذا الكتاب وفيه اعتداء عظيم على رسول الله وصفیه وكليمه موسى وسخرية به وتصويره في أقبح الصور فجعله نموذجاً لعصبي المزاج وكرر ذلك بأشنع العبارات والأساليب.

ومنها قوله : " فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات فلعله قد هدأ و صار رجلاً هادئاً الطبع حلیم النفس كلا" فلقد بلغ اليأس أقصاه من سيد قطب من أن يهدأ موسى ويصير رجلاً هادئاً الطبع حلیم النفس فيقول معقباً (كلا) أي لن يكون ذلك من موسى ، فأني استهتار وسخرية تفوق هذه السخرية التي ارتكبها هذا الرجل .

انظر هذه الإساءات في كتاب التصوير الفني (ص 200-203) .

انظر إلى محمد قطب الذي يقر كل ما في هذا الكتاب من ضلال وإفك ماذا يقول في أخيه الذي أهان أصحاب محمد بأقذع الأساليب وأهان نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام .

قال : (... كان أخي سيد قطب رحمه الله رحيماً لا يغضب إلا للحق وما رأيته مرة واحدة غاضباً عفّ اللسان حتى عند ذكر أسماء أعداء الله ، لطيف المجلس حلو المعشر ، لا تفارقه الابتسامة الوقور ذو دعاية مؤدبة ، رقيق المشاعر مرهف الحس ... إذا سألت أو ناقشت يستمع إليك حتى تنتهي من كلامك تماماً فلا يقاطعك ولا يعرض برأيك ، ولو خالفته الرأي ولا يرفع صوته حتى لو رفعت صوتك ولا ينفعل حتى لو انفعلت ...)

(كتاب سيد قطب الأديب الناقد ... ص 7) .

أيا محمد قطب تقول هذا في أخيك وكتبه طافحة بالرعونات وبذاءة اللسان ومن ذلك طعنه في الصحابة وبهتة لهم وطعنه وبذاءته على نبي الله موسى .

فعلى وصفك هذا الذي حليت به أخاك يكون البون شاسعاً جداً بينه وبين نبي الله موسى .

وإذا كان أخوك قد أوصى بعدم قراءة الكتب التي ألفها قبل الظلال فلماذا لم تحذر الناس من قراءة كتاب التصوير الفني ؟

ولماذا لم تعترض على الخالدي وهو يشيد بكتب سيد قطب ومنها التصوير الفني ؟

لماذا لم تعترض على هذه الإشادة التي تغرر بالناس وتغريهم بقراءة هذه الكتب بل وتدفعهم إلى الثقة بها والغلو فيها وفي مؤلفها .

بل لماذا سمحت لك نفسك بمناقشة " رسالة " سيد قطب ونظرية التصوير الفني في القرآن الكريم " تلك الرسالة التي قدمها الخالدي عام 1400هـ لئيل درجة الماجستير " والتي أكد بها غلوه في سيد قطب وأيد نظريته الباطلة فيما يتقوله على الله وعلى كتابه من وجود التصوير الفني والأساليب والفنون الموسيقية وفنون وأساليب السينما والمسارح وحلقاتها وأدوارها التي اخترعها شياطين الإنس والجن من اليهود والنصارى ؟ .
فهل أنت تشهد لله وعلى الله بأن هذه الألاعيب موجودة في كتابه ؟ . فإن قلت نعم اشهد بذلك .

قلنا لك أين شهادتك على أخيك أنه قد أوصى بعدم قراءة الكتب التي ألفها قبل الظلال .

أنت والناس يعرفون أنه ألف "التصوير الفني" قبل الظلال فهلا أعلنت هذه الشهادة على الملأ واعترضت على الخالدي وسعيت في إلغاء رسالته الباطلة بدل مناقشتك لها وإعطائه درجة الماجستير تلك الشهادة المزيفة في علوم القرآن بل مدحت وأطريت هذا الرجل وأطريت رسالته كما سجل ذلك الخالدي في كتابه " سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد " ص 11 ؟ .

وإذا كان سيد قطب قد نقح كتابه الظلال ولا سيما الأجزاء الإثنا عشر الأولى من الظلال .

فلماذا سمحت بطبعه كاملاً وفيه القول بعقيدة الحلول ، ووحدة الوجود ،
ووحدة الفاعلية ، وفيه تعطيل صفات الله ، وفيه من التحريف لمعنى لا إله
إلا الله ما يعلمه إلا الله العزيز الكريم ، ثم ما قد علمه أهل السنة والتوحيد
المناهضين للباطل وخاصة وحدة الوجود والحول ووحدة الفاعلية ؟.

فلماذا قدمت له كاملاً ولم تقتصر على التقديم في القسم المنقح ، فقلت :

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

“ في ظلال القرآن ”

الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله ..

وعاشه لحظة لحظة ، وفكرة وفكرة ، ولفظة لفظة ..

وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان ..

لقد آن له أن يأخذ وضعه الطبيعي في يد ناشر أمين ..

يقدر أنه ناشر فكر قبل أن يكون جامع مال ..

وأن نشر الفكر رسالة علياً وليس انتهازية طامعة ..

فلتكن هذه الطبعة المشروعة الصادرة عن دار الشروق ..

بعد طول التطواف في طبعات غير مشروعة ..

فلتكن في ثوبها الجديد هذا ..

تحية منا في رحلتنا العابرة على الأرض ..

إلى المؤلف الشهيد ..

محمد قطب

المجلد الأول قبيل مقدمة المؤلف

فماذا يفهم القارئ من هذا التقديم الذي قلت فيه " ضلال القرآن " الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله وعاشه لحظة لحظة ، ولفظة لفظة ... الخ .

فهذه شهادة عامة شاملة لكل لفظ من ألفاظ الضلال وكل فكرة من أفكار صاحبه أودعها فيه ألا ترى أن ذلك يشمل كل الضلالات التي أودعها سيد قطب كتابه هذا بما في ذلك وحدة الوجود والحلول وتعطيل صفات الله والغمز لنبى الله موسى عليه الصلاة والسلام .

لماذا سمحت نفسك المراقبة لله المؤدية للشهادة خوفاً من لقاء الله بطبع هذا الكتاب عشرات الطبعات وترجمته إلى كثير من اللغات ونشر ذلك في العالم الشرقي والغربي يبذر هو وسائر كتب سيد قطب بذور الفتن والضلال في شباب الأمة وشيبيها ؟.

ومن فتنه الطعن في نبى كريم وفي خير صحب لأفضل الأنبياء وتؤكد هذه الكتب بشهادتك لأخيك بأنه لم يخالف كتاب الله وأنه عف اللسان وأنه ... وأنه ...

أيا محمد قطب :

" حنانيك قدجاوزت سبعين حجة ودوم في عينيك - ولو تبصر - القبر "

فاتق الله واصدع بتوبتك النصوص وأعلنها صريحة مدوبة .

وأخيراً نقول :

على كل حال فسواء أوصى سيد قطب قبل وفاته بعدم قراءة ما ألفه من كتب قبل كتابه (في ضلال القرآن) أو لم يوص .

فإن هذا اعتراف من الأستاذ / محمد قطب بعدم صلاحيتها للقراءة
لضررها على الإسلام والأمة وهذا الاعتراف يشمل ما بعد الجزء الثاني
عشر من الضلال .

وهذه خطوة كبيرة من محمد قطب بل قفزة هائلة منه نرجوا أن يكون
فيها شيء من الانتصار على النفس والهوى .

فنأمل منه أن يخطو خطوة أخرى شجاعة فيصرح مرة أخرى بعدم
صلاحية كتب سيد قطب كلها للقراءة لأن منبعها جميعاً الجهل والضلال
ونأمل منه النصح بعدم طبعها ونشرها ، فإن في ذلك خيراً كبيراً له
ولأخيه وللإسلام والمسلمين وإبراء للذمة وأداء للشهادة لله بحق.

ونأمل منه إعلان توبته وندمه ليكون أسوة حسنة لإتباع سيد قطب في
الاعتراف بالحق والرجوع عن الباطل وعدم التماذي فيه .

ونأمل من كل من دافع عن سيد قطب أن يتقوا الله في أنفسهم وفي
الإسلام والأمة فيغيروا مواقفهم علانية ويعلنوا توبتهم وندمهم على ما
ارتكبوا في حق الإسلام والأمة .

وأن لا ينتظروا من محمد قطب الخطوة الأخرى بل نأمل منهم أن
يسبقوه إليها فإن في ذلك خيراً كثيراً لهم وللإسلام والمسلمين ونقول لهم
إن باب التوبة مفتوح لا يستطيع بشر أن يغلقه في وجوهكم وقد فتحه الله
لكم ، قال تعالى : [قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور
الرحيم] .

AL BOUNYANE, C'EST QUOI ?

Fondé en 2007, l'organisme Al Bounyane est **une équipe de travail offrant une gamme de services à la communauté musulmane.**

Son activité est répartie en plusieurs branches

- **AL BOUNYANE DIFFUSION** : dédiée à la science et sa diffusion sous toutes ses formes ; envoi de colis, édition de supports, organisation de conférences, etc.

(www.albounyane.com)



- **HIJRA CONSEIL** : dédiée à l'information et l'aide à l'installation en pays musulman, la hijra.

(<http://hijra.albounyane.com>)

- **HUMANISLAM** : dédiée à l'aide humanitaire

(www.humanislam.org)



Al Bounyane est gérée par une direction **s'attachant à la Sounna** et revenant aux **savants reconnus** pour solutionner ses problématiques. Toute personne est la bienvenue dans cette équipe qui travaille en toute transparence et dans le conseil mutuel.

Le **financement de la structure** provient des cotisations, dons, et des ventes et services commercialisés par Al Bounyane.

Tout membre d'Al Bounyane est invité à participer à part entière à cet effort de bienfaisance et l'implication n'y est pas limitée.

Au-delà de la **récompense divine** espérée par tout membre, Al Bounyane est un **véritable centre de formation** dans de nombreux domaines de compétences, constituant **une valeur ajoutée au CV** de chacun et chacune.

Chaque membre choisit d'être **cotisant ou non** (à hauteur de 120€ annuels), puis communique ses coordonnées afin d'être tenu informé des activités et besoins d'Al Bounyane. Il s'engage ainsi à **participer et aider** à la hauteur de ses capacités.